جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

المرفوعات في القرآن الكريم "دراسة دلالية بلاغيّة"
سورة آل عمران نموذجاً

إعداد الطّالبة

وصال وليد الهويمل

إشراف

الدّكتور عادل البقاعين

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة
الماجستير في النحو واللغة – قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2013م

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر
بالضرورة عــن وجهـــــــة نظــر جامعة مؤتـــة

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالبة وصال وليد الهويمل الموسومة بـــ:

المرفوعات في القرآن الكريم دراسة دلالية بلاغية (سورة آل عمران أنموذجاً)

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **اللغة العربية.**

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
د. عادل سلمان البقاعين		2013/4/24	مشرفاً ورئيسا
أ.د. عبدالقادر مرعي الخليل		2013/4/24	عضواً
د. سيف الدين طه الفقراء		2013/4/24	عضواً
أ.د. محمد حسن عواد		2013/4/24	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. عبدالفتاح خليفات

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694

الإهداء

إلى مَن كَلّ وتعب، ليمهّد ليَ طريق العلم .....

إلى القلب الكبير (والـــــــــــــــدي الــــــــــــعزيز).

إلى مَن أرضعتني الحبّ والحنان، إلى القلب النّاصع بالبياض(والدتي الحبيبة).

إلى الرّوح الّتي سكنت روحي ...

زوجي الحبيب(أبو الأيـــــــــــــهم).

إلى مَن أرى التّفاؤل بعينيه .... والسّعادة في ضحكته.. إلى شعلة النّور والبراءة

ابني (الأيـــــــــــهم).

إلى رفقاء دربي إخوتي وأخواتي.

إلى عشّاق اللّغة العربيّة .

إلى هؤلاء كلّهم ....أهدي هذا العمل المتواضع.

وصال وليد الهويمل

الشّكر والتّقدير

الشّكر أولاً وأخيراً لله تعالى الّذي منّ عليّ بفضله وعطائه على ما بلغت هذه الدرجة من العلم، ثمّ الشكر الجزيل لأستاذي الجليل الدكتور عادل البقاعين الّذي كان بمثابة الأب الحاني؛ لإشرافه على هذه الرّسالة ، وتوجيه خطّتــه ،والإرشــاد للــصواب ، وإزالة الغموض الّذي كان يعترضني في بعض المواطن ، فجزاه الله خير الجــزاء، وسدّد على طريق الخير خطاه .

كما أتقدّم بجزيل الشكر إلى الأساتذة الأجلاّء : الأستاذ الدّكتور محمد حسن عواد ، والدّكتور سيف الدّين الفقراء ، والأستاذ الدّكتور عبد القادر مرعي ؛ لتحمّلهم أعبــاء قراءة هذه الرّسالة ، وإبداء توجيهاتهم القيّمة، جعل الله ذلك في ميزان حسناتهم .

كما أشكر أساتذتي الأفاضل في جامعة مؤتة – قسم اللّغة العربيّة – الّذين لم يبخلوا عليّ بتقديم العلم والمعرفة

وصال وليد الهويمل

فهرس المحتويات

الملخّص

المرفوعات في القرآن الكريم "دراسة دلالية بلاغيّة"

سورة آل عمران نموذجاً

وصال وليد الهويمل

جامعة مؤتة 2013

تعالج هذه الدّراسة الأساليب النّحويّة للمرفوعات الواردة في كتاب الله ، وتحاول الكشف عن أسرار هذه التّركيبات والأنماط، وتُبرز النّواحي البلاغيّة الّتي ترتبط بها، وهي تأخذ من سورة آل عمران نموذجاً قرآنيّاً.

وقد قمت بتقسيم هذه الدّراسة إلى ثلاثة فصول وخاتمة:

أمّا الفصل الأوّل ، فقد اشتمل على الجملة الاسميّة من ناحية التّركيب، فاحتوى على: تقديم المبتدأ على الخبر وجوباً، وتقديم الخبر على المبتدأ وجوباً، وحذف المبتدأ والخبر، وجواز تقديمهما أو حذفهما، وكان كلّ موضوع من هذه الموضوعات يشتمل على دراسة تركيبيّة، وأخرى دلاليّة بلاغيّة.

أمّا الفصل الثّاني، فقد احتوىالنّواسخ الفعليّة والحرفيّة، وهي : " كان " وأخواتها، و " إنّ " وأخواتها. وقد قسّمت كلّ موضوع من هذه الموضوعات إلى أقسام حسب النّاحية التركيبيّة الّتي ورد عليها النّاسخ في السّورة الكريمة،ثم قمت بتوضيح النّواحي الدّلاليّة والبلاغيّة في كلّ من هذه المباحث، وقد أضفت إليها " لا " الّتي لنفي الجنس، و " ما " الحجازيّة؛ لأنّ هاتين وردتا في السّورة الكريمة بمثالين أو ثلاثة، فلم أُرِد أن أضعها في فصل مستقلّ لا يحتوي أكثر من ثلاثة أمثلة أو أربعة ، وقد كان من المفترض أن أتحدّث عن أفعال المقاربة والشّروع والرّجحان، غير أنّني لم أجد شواهد لهذه الأفعال.

أمّا الفصل الثّالث ،فقد تحدّثت فيه عن الفاعل ونائب الفاعل والتّوابع المرفوعة، حيث قسّمتها أيضاً حسب نوع التّركيب الّذي تأتي عليه في السّورة الكريمة،وبعد ذلك دراسة كلّ تركيب من هذه التّراكيب دلاليّاً وبلاغيّاً.

وفي نهاية المطاف أتيت بخاتمة تتضمّن أبرز ما توصّلت إليه من نتائج.

ABSTRACT

Al-Marfoa't in The Holy Quran " A Synthetic Rhetorical Study " AaL Imran Sura as A Model

Wesal Waleed Alhweimel

Mu'tah University 2013

In the current study " Al-Marfoa't in The Holy Quran " , which is a synthetic rhetorical study , we present within it Aal Imarn sura as an applicative model , with the hope that Allah accept this humble work and being a source for advantage . The study addresses the syntactic methods of Al-Marfo'at mentioned in the holy Quran , with the attempt to explain the secretes of these constructions and patterns , and to highlight the rhetorical aspects related to them .The study takes Aal Imran sura as a model from the holy Quran as it is not easy to study the whole holy Quran here . The study is divided into three chapters and a conclusion: The first chapter includes explaining the construction of the nominal sentence , this chapter includes sections such as the need to start the sentence with the subject , delaying the subject within the sentence , or deleting the subject and the object , and each section includes a synthetic study and a rhetorical semantic one. The second chapter consisted of the actual and literal delete tools : kan wa akhwatha , Inna wa akhwatha , and each section is divided into sub-sections according to the Synthetic form the delete tool take within the sura .In addition, we explained the semantic and rhetorical aspects in each section , this chapter also includes La Alnafeiah " denial no " and Hijazi Ma as they occurred twice or three times within the sura so there was no need to put a chapter for them . It was supposed to explain approaching , initiating and probability verbs , but there was a lack for the examples on them . The third chapter addressed the subject and the vice subject and the other subordinates , and they are divided according to the type of construction they take within the sura m and then each construct is studies semantically and rhetorically . Finally, the study presents a conclusion regarding the most important findings .

المقدمة:

إنّ الحمد لله ، نحمده، ونستعينه، ونستغفره،ونعوذ بالله من شـــرور أنفـــسنا ، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، أمّا بعد :

تكمن أهمّيّة هذه الدّراسة في انّها تتّصل بدراسة الأساليب النّحويّة للمرفوعات الواردة في كتاب الله العزيز،ومحاولة استنباط النّواحي الجماليّة في استعمالها مـــن خلال النّواحي البلاغيّة الّتي ترتبط بها. فقد كان من توفيق الله ، أن يكون الموضوع الّذي تخيّرته لبحثي،متّصلاً بأشرف غاية ، وهي خدمة كتاب الله تعـــالى الّـــذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وفي ناحية من نواحي إعجازه.

وقد اخترت سورة من أعظم سوره ، وأكثرها فضلاً، وهي سورة " آل عمران " الّتي جاء في مكانتها الكثير من الفضل ، فقد ثبت أنّها تحاجّ عن صـــاحبها يـــوم القيامة،وأنّها تأتي يوم القيامة كغيمةٍ تظلّل قارئها "، إضافة إلى طول السّورة الّذي تتميّز به، والمادّة البلاغيّة الغزيرة الّتي تحويها؛ ولأنّها تعالج موضوعاً يمسّ حيـــاة النّاس في هذه العصور الحديثة ، ألا وهو الصّراع بين أصحاب الكتب الـــسّماويّة، لا سيّما الصّراع بين اليهود والمسلمين، فنحن بحاجة إلى استلهام العبر والمنهج من هذه السّورة في كيفيّة التّعامل مع ذلك المأزق؛ لذا عزمت على اتّخاذها موضوعاً لهـــذه الدّراسة، فوافق المشرف الفاضل الدّكتور عادل بقاعين على هذا الطرح ، وقدّم لـــي كلّ تشجيع، وإرشاد، ورسم للطريق الّذي سأسير عليه في هذه الدّراسة، فكان لـــذلك أكبر الأثر في إزالة الغموض الّذي كان يعترضني، وتذليل العقبات الّتي كانت تعرقل هذا السير .

والباحث في مجال الدّراسات القرآنيّة ، لا يخفى عليه ماتحتاجه هذه الدّراسة من دقّة وعناء وحذر وذلك لأنّ النص الّذي يتناوله هو كلام ربّ البشر الّذي تقشعرّ له الأبدان،وتلين منه القلوب ،وتتفتّح به البصائر ، وتصقل به العقول، ممـــا يجعـــل الباحث يتأنّى في البحث والحديث ولكن مما يخفف عليه ، المتعة الّتي يشعر بها عند تذوّقه لمواطن البلاغة والبيان في هذه السّورة.

أمّا المنهج المتّبع في هذه الدّراسة ، فهو المنهج الوصفي التّحليلي الّذي يقوم على تحليل المرفوعات في سورة آل عمران تحليلا تركيبيّاً بلاغيّاً ، مبيّناً الغـــرض

البلاغيّفي الآية ، وبعض الأساليب العربيّة فيها، وصولاً إلى الهدف العام الّذي سيق من أجله النص .

وهذا المنهج يجعل البلاغة خادمةً للمقاصد القرآنيّة وليس العكس ، وذلك لأنّ المواد اللغويّة هي الأساس الّذي يتكوّن منه النظم القرآنيّ؛ لذا ارتأيت أن تكون الدّراسة تركيبيّة بلاغيّة وفق نظريّةالنّظم.

الفصل الأول

الجملة الاسمية

1.1 الجملة الاسمية

هي جملة المبتدأ والخبر ، وقد ذكر ابن هشام : بأنّها الجملة الّتي صدرها اسم كزيد قائم [1].

تقسّم الجمل في اللّغة العربيّة إلى نوعين : الجملة الاسميّة الّتي تتكوّن من مبتدأ وخبر، والجملة الفعليّة الّتي تتكوّن من الفعل والفاعل ، أو الفعل ونائب الفاعل. وهذا الفصل من الدّراسة سيتناول - إن شاء الله - الجملة الاسميّة، نموذجاً على المرفوعات في سورة آل عمران من كتاب الله العزيز، وسيقوم ببيان الأوجه التّركيبيّة الّتي تأتي عليها الجملة الاسميّة لكلّ حالة من الحالات على حدة، وسيُقسم الفصل إلى موضوعات ، تتناول البحث التركيبيّ والبلاغيّ للجملة الاسميّة.

2.1 الصّور الّتي يأتي عليها كلّ من المبتدأ والخبر:

يأتي المبتدأ والخبر في جملتهما على صور متعدّدة منها ما يكون المبتدأ متقدّماً على الخبر وجوباً، ومنها ما يكون الخبر متقدّماً على المبتدأ وجوباً، ومنها ما يتقدّم أحدهما على الآخر جوازاً، وفي بعض الصّور يحذف أحدهما وجوباً أو جوازاً.

وسيتناول هذا الجزء من الدّراسة هذه الصّور من ناحية تركيبيّة بلاغيّة في ظلّ كتاب الله العزيز، من خلال سورة آل عمران؛ لتكون نموذجاً تُطَبّق نتائجه على سور كتاب الله الّتي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبالتّالي ستقسم الدّراسة حسب كلّ صورة يأتي عليها كلّ من هذين الرّكنين في الجملة الاسميّة، إذ بدأ بالحديث عن تقدّم المبتدأ وجوباً على الخبر، ثم تتحدّث عن تقدّم الخبر وجوباً على المبتدأ ،ثمّ تتناول تقدّم المبتدأ جوازاً على الخبر، ومن ثمّ للحديث عن تقدّم

---

[1] . ابن هشام ابومحمد عبدالله جمال الدين، الانصاري، مغني اللّبيب , تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله,دار التراث العربي,ج2, ص367.

الخبر جوازاً على المبتدأ، يتبع ذلك الحديث عن حذف المبتدأ وجوباً وجوازاً، وحذف الخبر وجوباً وجوازاً، والله وليّنا في ذلك.

1.2.1 وجوب تقديم المبتدأ:

تنتظم الجملة الاسميّة العربيّة على حالة قياسيّة معيّنة، ألا وهي الحالة المتمثّلة بالشّكل الأصليّ لهذه الجملة، إذ تبدأ بالمبتدأ، ثمّ يأتي الخبر، غير أنّ هناك حالات يتقدّم فيها المبتدأ على سبيل الوجوب لا على سبيل التّخيير كما تأتي الجملة في الوضع الطبيعيّ.

والعرب تقدّم وتؤخّر وفقاً لمعايير تدخل في كثير من الأحيان في جانب البلاغة، فلا يمكننا القول إنّ جملة مثل: زيدٌ مجتهدٌ تفيد المعنى ذاته الّذي تفيده جملة: مجتهدٌ زيد، فلا بدّ أن يكون هناك اختلاف في المعاني الّتي تتوارد على هاتين الجملتين[1].

يتقدّم المبتدأ وجوباً على خبره في حالات مخصوصة، وهي خمسة:

أولا: أن يكون كلٌّ المبتدأ والخبر معرفة أو نكرة صالحة لجعلها مبتدأً، وليس ثمّة قرينة لفظيّة أو معنويّة لبيان المبتدأ من الخبر.

ثانيا: أن يكون الخبر فعلاً رافعاً لضمير المبتدأ مستتراً.

ثالثا: أن يكون الخبر محصوراً بـــ"إنّما".

رابعا: أن يكون خبراً لمبتدأ قد دخلته لام الابتداء،

خامسا: أن يكون المبتدأ له الصّدارة في الكلام من مثل أسماء الاستفهام مثلاً[2].

---

[1]. السامرائي، فاضل صالح(2003 م). معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان ــ الأردن، الطبعة الثانية, ص: 136 ــ 137.

2. ابن عقيل، عبد الله بن بهاء الدين بن عبد الله(1999 م). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة ــ مصر، الطبعة الثانية، ج: 1، ص: 206.

وفيما هو آتٍ عرضٌ للمسائل المستخرجة من سورة آل عمران ؛ لنُبيّن فيها دراستنا حول المرفوعات في القرآن الكريم، وسنقوم بترتيب تلك الآيات حسب الأحوال الّتي يتقدّم فيها المبتدأ وجوباً، وذلك كما هو آتٍ:

2.2.1 تساوي المبتدأ والخبر في التّعريف والتّنكير:

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء (5) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6) ﴾[1].

ففي الآية الكريمة تقدّم المبتدأ الضّمير" هو "على الخبر"الّذي"وجوباً، والضّمائر من المعارف، وكذلك الحال نفسه في الموصولات، فهي أيضا من المعارف، وبناء عليه فإنّ الجملة المكوّنة من المبتدأ والخبر جملة اسميّة تساوى فيها الرّكنان في التّعريف، ف"هو": مبتدأ، و"الّذي": خبر[2]،وهذه الجملة جاءت على الأصل، وهو تقدّم المبتدأ على الخبر[3].

وكذلك فإنّ المبتدأ في هذه الجملة هو ضمير شأن يأتي للتّفخيم والتّعظيم[4]، فقد جاء في شرح المفصّل: " اعلم أنّهم إذا أرادوا ذكر جملة من الجمل الاسميّة أو الفعليّة فقد يقدّمون قبلها ضميراً يكون كناية عن تلك الجملة، وتكون الجملة خبراً عن ذلك الضمير، وتفسيراً له، ويوحّد الضّمير دون الضّمير؛ لأنّهم يريدون الأمر والحديث؛ لأنّ كلّ جملة شأن وحديث، ولا يفعلون ذلك إلاّ في مواضع التّفخيم والتّعظيم، وذلك كقولك: هو زيد قائم، فهو ضمير لم يتقدّمه ظاهر، إنّما هو ضمير الشّأن والحديث،

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 6.

[2]. درويش، محيي الدين بن أحمد (1415هـ). إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص ـ سوريا، دار اليمامة، دمشق ـ بيروت، ودار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، الطبعة الرابعة ، ج: 1، ص: 455.

[3]. الاستراباذي,رضي الدين محمد بن الحسن, شرح الرّضي على الكافيّة، ج: 1، ص: 93.

[4]. الأزهري، خالد بن عبد الله (2000م). شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ، ج: 1، ص: 162 ـ 163.

وفسّره بعده مناالخبر، وهو زيد قائم، ولم يأتِ في هذه الجملة بـ عائد إلى المبتدأ... ويسمّيه الكوفيّون الضّمير المجهول؛ لأنّه لم يتقدّمه ما يعود إليه "[1].

فالجملة في هذا التّ ركيب تفيدتعظيم الله عزّ وجل؛لأنّها نزلت في وفد من نصارى نجران يجادلون في حقيقة عيسى -عليه السّلام - فكان في هذه الآية توطئة لبيان الأمر في شأنه -عليه السّلام-من حيث إنّه مما يصدّ ور في الأرحام ، وحملته الأنثى ووضعته، فابتدأت الآيةبالضّ مير (هو) ؛ لتدلّعلى أنّه وحده الّذي يصوّر في الأرحام ؛ ويعلم التّقلّب داخله ، وأنّه "هو" وحده القادر المتفرّد بهذا الفعل.

فالغرض البلاغيّمن تقدّ م المبتدأ على الخبر هو القصر،وذلك ناتج من تساوي المسند والمسند إليه في التّعريف، إنقصر قدرة التّصوير على نفسه جلّ وعلا،وهو قصر حقيقيّ واقعيّ، فهو مسخّرأسباب ذلك التّ صوير وهو العالم بأسراره وشؤونهالمبهمة على الخلق وإن بلغوا أعلى درجات العلم وهو وحده الّ ذي يتولّىالتّصوير بمحض إرادته ومطلق مشيئته،ويمنح الخصائص المميّ زة لهذه الصّورة، و"هو" وحده المتفرّد بهذا الفعل، وهذه إشارة إلى ردّ الشّبهة الّتي نسبت إلى عيسى -عليه السّلام-المتمثّلة في أنّ ه غير بشر كونه وجد دون أب، فكيف يكون ذلك المخلوق المصورّ في الأرحام – وإن اختلفت كيفيّات ذلك التّصوير - إلهاً[2] .

وقد يكون الغرض البلاغيّ من استعمال الضّمير "هو"شدّ انتباه السّامع ، وعدم التّكرار في السّياق، لأنّه قد يفسده في بعض المواطن ، فقد ذكرت الآيات لفظ الجلالة في البداية غير مرّة عند قوله تعالى :"الله لا إله إلاّ هو " ، وقوله : "والله عزيز ذو انتقام " ، ثمّ قوله:"إنّ الله لا يخفى عليه شيء" ؛ لذا أتى السّياق بالضّمير؛ لشدّ انتباه القارىء عند سماعه الضّمير من جهة ؛ وللمراوحة في الاستعمال من جهة أخرى ، فتارة يذكر لفظ الجلالة صريحاً ، وأخرى يذكر الضّمير العائد إليه .

---

1. ابن يعيش,يعيش علي بن يعيش. شرح المفصّل، دار عالم الكتاب,بيروت, مكتبة المتنبي القاهرة, مصر.ج: 3، ص: 114.

2. الثعالبي,ابوزيد عبدالرحمن محمد بن مخلوف(المتوفى 875هـ), الجواهر الحسان في تفسير القرآن,تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل عبدالموجود, طبعة 1,دار التراث, بيروت, ص196 .

ومن الملامح البلاغيّة الأخرى في هذا الموضع زيادة التّعظيم لله تعالى ، فقد ذُكر اسمه الأعظم في البداية ، فازدادت تلك العَظَمة بضمير الشّأن الدّال عليها ، فهو الحيّ القيّوم ، وهو منزل الكتب السّماويّة ، وهو الّذي لا يخفاه شيء، يتبع ذلك كلّه القدرة الفائقة على التّصوير ، فهو تصوير عزيز محكم ، فائق القدرة والحكمة.

وهناك مواضع أخرى في سورة آل عمران تفيد المعنى نفسه، لا حاجة لنا بإعادتها[1].

وفي موضع آخر يقول تعالى:﴿ ر رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (8) ﴾[2]، أي ربّنا أعطنا تفضّلاً من عندك لا عن سبب منّا ولا عمل .

قد أفاد ضمير الفصل هنا القصر واختصاص الله تعالى بصفة أن يكون وهّاباً،إذ ختم سبحانه وتعالى هذه الآية الكريمة بخاتمة بديعة تدلّ على إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، فقال جلّ وعلا :" إنّك أنت الوهّاب "، وهي آية حَوَت غير تأكيد مثل :"إنّ"، و " الجملة الاسميّة "، وأسلوب القصر ؛ وذلك للمبالغة في بيان فضل الله تعالى على عباده،وبيان هباته الّتي لا تنقطع ،وأنّ هبات البشر وأعطياتهم أمامها لا تساوي شيئاً.

أمّا استعمال السّياق القرآنيّ لصيغتي الخطاب الكاف والضّمير "أنت" ،فهو لتقوية الدّلالة على أنّ الهدى والضّلالة بيده سبحانه وتعالى ، وأنّه هو المتفضّل على عباده بالهداية ، و أنّ الإنسان مهما بلغ من الإيمان والعلم لا يأمن تقلّبات قلبه ؛ لذا حتّى أهل الإيمان يرجون الله تعالى حفظ إيمانهم، وأن يجنّبهم أسباب الزّيغ والجهل والشّقاء الّتي تحوّلهم عن هذه الهداية، لا سيّما أنّها كانت تفضّلاً منه بدليل قوله : "هديتنا".

---

[1] . سورة ال عمران , الايات (7, 66, 70, 71, 75, 78).
[2] . سورة آل عمران، آية: 8.

فهذا التّعبير البلاغيّ الجميل يجرّد المؤمن نفسه من كلّ حيلة أمام الله تعالى ،ولا يزكّي نفسه عليه، فهو يطلب العون والتّثبيت في أدقّ الأمور وهي المشاعر الإنسانيّة الّتي غالباً ما يتقرّر مصير الإنسان عليها.

والإتيان بصيغة المبالغة على وزن " فعّال " " الوهّاب" المأخوذة من الوهب والهبة- وهي العطيّة سماحاً من غير قصد من الموهوب -مع أنّها في الأصل " وَهوب " ، فهي لزيادة المعنى ؛ لأنّ الهبة تكون سماحاً و تفضّلاً من غير قصد من الموهوب ولا عن سبب، وفي هذا استسلام وإذعان لله تعالى.[1]

وقوله أيضاً: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35)﴾[2]،وكذلك فإنّ هذه الآية تفيد القصر والحصر واختصاص الله تعالى بالسّمع والعلم المطلق دون غيره، وأنّه لا أحد يعلم نيّة أمّ مريم مثل علمه ، حتّى هي ، فإن كان فيها شيء لا يصلح فتجاوز عنه ؛ لذا أكّدت الجملة بمؤكّدين هما : "إن "، واسميّة الجملة؛ لبيان إيمانها المطلق بهذه الصّفات وقصر صفتي السّمع والعلم " أنت السّميع العليم " عليه سبحانه وتعالى ؛ لبيان أنّ دعاءها مختصّ به لا يُصرف لغيره ؛ولبيان انقطاع حبل رجائها عمّا عداه؛ مبالغة في الضّراعة والابتهال لله عزّ وجلّ.[3]

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82)﴾[4]، بمعنى أنّ من أعرض عن اتّباع النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم ومؤازرته بعد ثبوت نبوته كان من الفاسقين،في حين أنّ الإتيان بأسلوب القصر " فأولئك هم الفاسقون " فهو لقصر الفسق على من أخلّ بالعهد ، ودليل على عظَمِه وأنّهم مسؤولون عنه أمام الله تعالى، ودليل كذلك على فرضيّة اتّباع -محمّد صلّى الله عليه وسلّم-وما جاء به من الخبر اليقين.

---

[1]. الثعالبي,, الجواهر الحسان في تفسير القرآن.ص205

[2]. سورة آل عمران، آية: 35.

[3]. ابو حيان,محمد بن يوسف,(ت1420ه). البحر المحيط.تحقيق:صدقي محمد جميل, دار الفكر,بيروت-لبنان.ج3,ص:114.

[4]. سورة آل عمران، آية: 82.

و استعمال اسم الإشارة " أولئك " الدّالّ على البعد ؛ فهو للدّلالة على تماديهم في الكفر والفسق والفساد وبعد منزلتهم من الله تعالى ، أي : فأولئك المفسدون الضّالّون عن عهد النّبي عليه السّلام . وكذلك فإنّ اسم الإشارة في هذه الآية الكريمة؛ للتّنبيه على أنّ المشار إليه المسند إليه ، وهو" من " الموصوف ب " تولّى " جدير بما ذكر بعد اسم الاشارة ، وهو الوصف بالفسق .

أمّا ضمير الفصل " هم " ،فهو للتّوكيد والمبالغة ؛ لأنّ فسقهم وتكذيبهم لا يساويه فسق ،ولا يعادله جرم ، فهم من أعرضوا وتولّوا بعد الإقرار والميثاق ؛ لذا لا بدّ من التّأكيد بأنّهم الفاسقون.

وهناك آيات أخرى لا سبيل إلى عرضها هنا جاء فيها ضمير الفصل وقد أفاد معاني تتمثّل في الحصر والقصر.[1]

3.2.1 الخبر جملة فعلية فعلها يرفع ضميراً عائداً إلى المبتدأ:

أمّا الحالة الثّانية الّتي يتقدّم فيها المبتدأ وجوباً على خبره ، فتتمثّل بأن يكون الخبر جملة فعليّة، فعلها يرفع فاعلاً مضمراً يعود إلى المبتدأ، وهناك آيات في سورة آل عمران أتت على هذا النّمط السّياقي ، وهو تقدّم المبتدأ على خبره وجوباً.

يقول الله تعالى : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (13)﴾.[2]

ففي هذه الآية الكريمة المبتدأ هو لفظ الجلالة " الله"،وخبره الجملة الفعليّة الّتي جاءت بعده " يُؤيّد بنصره "، و قد تضمّن هذا الخبر ضميراً مستتراً عائداً إلى المبتدأ[3]، وهكذا تحقّق شرط الابتداء الوجوبيّ للمبتدأ على الخبر.

والعلّة في وجوب تقدّم المبتدأ في هذه الحالة على خبره أنّ الخبر يتّصل به ضمير يعود إلى المبتدأ، والمبتدأ مقدّم رتبةً، في حين أنّ الخبر متأخّر رتبة، لأنّ

[1] سورة ال عمران, الاية :90.

[2] . سورة آل عمران، آية: 13.

[3] . درويش، إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 461.

الضمير لا يجوز أن يعود إلى متأخّر لفظاً ورتبة، أو رتبة فحسب؛ لذا كان من الواجب أن يعود إلى المبتدأ[1].

والنّاحية البلاغيّة في هذه الآية تتمثّل في إتيان الخبر جملة فعليّة فعلها مضارع يفيد الحال والاستقبال، ويعني ذلك أنّ الله تعالى لا يزال يؤيّد بنصره من يشاء في هذه الدّنيا، وهذا الأمر على سبيل الدّوام والاستمرار كما دلّنا على ذلك الفعل المضارع، وأنّ هذه سنّة كونيّة إلى يوم الدّين، وفي هذه العبارات طمأنة وسكينة للأمّة الإسلاميّة؛ لئلاّ يدخلها القنوط واليأس من رحمة الله.

ومن ناحية أخرى فيمكننا أن نسبغ هذه الآية على شتّى مناحي الحياة، فالتّأييد يعني تضعيف القوّة الباطنة، لا في الحروب والمواجهات العسكريّة فحسب، وإنّما يكون مادّيّاً ونفسيّاً ومعنويّاً لكلّ إنسان قدّر الله حقّ قدره، واتّبع طريقه السّوي المستقيم، فهو يجد النّصر والتّوفيق والتّأييد أينما حلّ، وحيثما وُجِد.

ومن الملامح البلاغيّة أيضاً في هذه الآية، أنّها تحمل في طيّاتها خبراً لفئتين، فهي خبر تبشيريّ لكلّ مؤمن وتثبيتٌ لقلبه، وفي الوقت نفسه إنذارٌ لكلّ من خرج على حدود الله، وأراد مقاومة جنوده في الأرض.

واستعمال كلمة النّصر غاية في الدّقة والبلاغة القرآنيّة؛ وذلك لأنّ النّصر لا يكون إلاّ لمحقّ وما غير ذلك فهو الظّفر والانتقام[2].

وقد ورد بعض الآيات في سورة آل عمران على هذا النّمط التّركيبيّ، منها قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (40)﴾[3]، فإنّ فعلها مضارع يفيد الحال مع الاستقبال، وكذلك الأمر ذاته في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47)﴾[4]، والقول فيها كسابقتيها، وقوله تعالى كذلك: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا

1. ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 104.
2 نظم الدرر ج:4,ص:266
3. سورة آل عمران، آية: 40.
4. سورة آل عمران، آية: 47.

يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57)﴾[1]، بمعنى أنّه لا يفعل معهم فعل المحبّ، وأنّه يحبط أعمالهم لبنائها على غير أساس الإيمان حيث جعل لازم الكراهيّة مستمرّاً لهم. فلمّا أتمّ الله سبحانه وتعالى ما أراد من أمر عيسى - عليه السّلام - إلى انتهاء رفعه وما كان بعده من أمر اتّباعه وشيعته، إلى ما فيه من بدائع الحكم واللّطائف، ختمه بالتّنفير من الظّلم، وهذا إن دلّ على شيء، فهو يدلّ على رصانة القرآن الكريم، وحسن ترتيبه، وانتقاء ألفاظه، حيث يضع اللّفظ في المكان الأليق به.

وهناك إشارة بلاغيّة أخرى قد تستشفّ من استعمال الفعل المضارع في هذه الآية، وهي زجرٌ للظّالمين - أيّاً كان نوع الظّلم - ودحرٌ لهم وتعميم الحكم عليهم بشتّى أزمانهم وأماكنهم إلى أن تقوم السّاعة.

وقوله كذلك: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66)﴾[2]، وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (70)﴾[3]، غير أنّ هذه الآية تختلف عن سابقاتها بأنّها تختصّ بالحديث عن المؤمنين وليس عن الذّات الإلهيّة، وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71)﴾[4]، وقوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86)﴾[5].

ويمكن أن نلحظ من خلال الاطّلاع على الآيات الكريمة أنّ أغلبها الّتي جاءت على النّسق السّابق من التّركيب كانت تأتي في أعجاز الآيات، أي أنّها قبل الفاصلة القرآنيّة بكلمتين أو ثلاث، إن لم تكن هي ذاتها واقعة في موقع الفاصلة القرآنيّة، فكأنّ الجملة الاسميّة الّتي تفيد الثّبات والاستمراريّة، كانت هي خاتمة

1. سورة آل عمران، آية: 57.
2. سورة آل عمران، آية: 66.
3. سورة آل عمران، آية: 70.
4. سورة آل عمران، آية: 71.
5. سورة آل عمران، آية: 86.

الآية[1]؛ لتدلّ على دوام الأمر الّذي تتحدّث عنه، ولأنّه من الأحكام العامّة الّتي لا تختصّ بها قضيّة دون غيرها.

4.2.1 المبتدأ المحصور في الخبر:

أمّا هذه الحالة، فتتمثّل بأن يكون المبتدأ محصوراً في الخبر، إذ يتقدّم المبتدأ وجوباً على الخبر، وسنقوم ببيان ذلك من خلال بعض المواطن في سورة آل عمران.

يتقدّم المبتدأ وجوباً إذا حُصر في الخبر[2]، وقد ورد هذا التّركيب في سورة آل عمران، وهو قوله تعالى: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126)﴾[3].

وإعراب هذه الآية، "ما" النافية، و "النصر" مبتدأ مرفوع، و "إلاّ": أداة حصر، و "من عند الله" جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر[4]، فالخبر إذن محصور بـ "إلاّ"، وهذا الحصر كان سبباً في تقديم المبتدأ وجوباً على الخبر، والحصر يفيد القصر، أي أنّ النّصر من عند الله تعالى فحسب، وأنّ الأمر مردّه إليه وحده في كلّ حين، وفي كلّ اتّجاه، فليس هناك أحد يملك النّصر سواه سبحانه وتعالى[5].

هذه الجملة في الآية الكريمة تحمل معنى بلاغيّاً متمثّلاً بالعمق، فهي وإن كانت جملة واحدة، إلاّ أنّها في معناها توازي جملتين، الجملة الأولى: تتمثّل بأنّ النّصر من عند الله وحده وأنّه قادر على نصرهم سواء بالملائكة أم بغيرهم، والجملة الثّانية: تتمثّل بأنّه لا أحد يمتلك النّصر سواه، فالحصر بـ "إلاّ" هو الّذي أعطى هذا

---

[1]. ابن عيسى,احمد بن ابراهيم ,(ت1406ه). توضيح المقاصد وتصحيح القواعد،تحقيق:زهير الشاويش,المكتب الاسلامي,بيروت-لبنان,الطبعة الثالثة, ج: 1، ص: 16.

[2]. ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، ج: 1، ص: 235.

[3]. سورة آل عمران، آية: 126.

[4]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 2، ص: 49.

[5] قطب، سيد . في ظلال القران ط17,دار الشّروق .بيروت ،لبنان، ج1 , ص457

المعنى البلاغيّ وفائدته تكمن في أنّه يدلّ على معانٍ أوسع من معنى الجملة المفردة[1].

وهذا المعنى البلاغيّ يأخذ مكاناً واسعاً في القرآن الكريم، فهناك آيتان أيضاً في سورة آل عمران هما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (143) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144) ﴾[2] فعندما أشيع أنّ رسول الله قد قتل، همّ بعض المسلمين بالارتداد إلى الكفر، فأنكر الله عليهم ذلك قائلاً: إن محمّداً رسول من عند الله قد مات من قبله المرسلون، أفإن مات أو قتل رجعتم عن الإيمان إلى الكفر، ومن يفعل ذلك، فإنّما يضرّ نفسه، والثّواب عند الله للثّابتين على منهج الله، الشّاكرين لنعمه.

فهو صلّى الله عليه وسلّم - مقصور على الرّسالة، لا يتعدّاها إلى التّبرّؤ من الهلاك، فالقصر في الآية قصر إفراد مبنيّ على التّنزيل المذكور تنزيل المعلوم منزلة المجهول؛ لغرض بلاغيّ هو الإنباء بعظم موته - عليه السّلام - في نفوس الصّحابة، وشدّة حرصهم على بقائه معهم، وهي من قصر الموصوف على الصفة[3].

أمّا جملة قد خلت من قبله الرّسل "، فهي صفة ل "رسول"، أي ما هو إلاّ رسول موصوف بخلّو الرّسل قبله، بمعنى موتهم أو رفعهم إلى السّماء، وأنّ محمداً ما هو بخالدٍ، ومن شأنه الموت. وهذا التّفسير ردّ على من يعتقد خلوّ الرّسل من قبله، وعلى من حاول ترك الدّين ونصرته بعد موته عليه السّلام؛ لذا أُنزِلوا منزلة من يعتقد انتفاء خلوّ الرّسل من قبله[4].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (184) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ

---

1. القزوينيّ، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر. الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد بن عبد المنعم الخفاجي، دار الجيل بيروت-لبنان. ج: 2، ص: 54.

2. سورة آل عمران، آية: 144.

3. ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (1984م). التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ج:4، ص:110.

4. المرجع نفسه. ص:110.

زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185) ﴾[1] فقد شبّه الحقّ - تبارك وتعالى - الدّنيا بالمتاع الّذي يزوّره بائعه على المشتري ويخدعه به، وهذه الصّورة المنفّرة موجّهة لمن جعل جلّ اهتمامه بالدّنيا الزّائفة الزّائلة الّتي لا بقاء فيها ولا فائدة،فهي المتاع الّذي يدلّس به الشّيطان على النّاس ؛ ليغترّوا به ،فيغبنوا بترك الباقي، وأخذ الأشياء الزّائلة الّتي تنقضي بانقضاء لذّاتها[2].

ومادّة (الغرور) مأخوذة من إطماع فيما لا يصحّ ولا يحصل ؛لذلك سمّى الله الشّيطان (الغرور)؛لأنّه يطمعنا نحن البشر بأشياء لا تصحّ ولا تحدث،ولهذا سوف يأتي الشّيطان يوم القيامة ليتبرّأ من الّذين اتّبعوه ،ويتّهمهم بالبلاهة[3].

فالقصر في هذا السّياق قصر حقيقيّ من قصر الموصوف على الصّفة،إذ قصرت الحياة على وصف واحد دون سواه ، وهو كونها متاع الغرور لمن آثرها على الآخرة.

فالتّأكيد الإلهيّ لهذه المعاني جاء بصيغتي الحصر والقصر؛ كي يتبيّن لنا أنّ ما يذكره القرآن منحصر بالأمور المشار إليها في الآيات، وهو أسلوب بلاغيّ بحت، يجعل من الجملة بقوّة جملتين.إضافة إلى أنّ هذه المعاني الّتي حُصرت ،إنّما كانت تختصّ بالأمور العقديّة، فالإيمان بأنّ الله هو النّاصر، وأنّ محمّداً هو رسول الله تعالى ، وما هو بخالدٍ ومصيره إلى الموت ، وأنّ الدّنيا فانية زائلة، أمور كلّها تتعلّق بنواحي العقيدة الإسلاميّة.

5.2.1 اتّصال لام الابتداء بالمبتدأ:

وفي هذه الحالة يتقدّم المبتدأ وجوباً على الخبر[4].

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 185.

2 . الشعراوي, محمد متولي,(1997م).تفسير الشعراوي-خواطر,مطابع اخبار اليوم.مصر,ج:3,ص:1390.

3 . المرجع نفسه,ص:1390.

[4]. ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، ج: 1، ص: 236.

ولام الابتداء إذا دخلت على الجملة، فإنّها تحمل فائدة تتعلّق بالمعنى البلاغة، " فهي اللّام المفتوحة في نحو: لَزيدٌ قائمٌ، وفائدتها توكيد مضمون الجملة "[1]

وقد تكرّر هذا الأسلوب -التّوكيد- في سورة آل عمران ؛لأنّها تخاطب الأمم المختلفة التّين لا يصدّق بعضهم كلام الله للوهلة الأولى، فجاء الخطاب بهذا الأسلوب؛ لبيان بعض الحقائق ،وترسيخها في أذهان هؤلاء المنكرين.

فلام الابتداء إذن عندما تدخل على الجملة ، يكون الغرض منها التّوكيد ، وقد جاءت مثل هذه الجمل في سورة آل عمران، وبالتّالي تقدّم وجوباً على خبره، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (63)﴾[2].

تكوّنت هذه الآية من مبتدأ وخبر، ولام الابتداء ، وإعرابها:" هو " ضمير منفصل في محلّ رفع مبتدأ، و "القصص " خبر مرفوع، والجملة كلّها خبر لـ " إنّ"، و"الحق": نعت مرفوع[3]، أمّا أبو حيّان،فيرى أنّ القصص خبر لـ " إنّ " ،وهذا الضمّير لا محلّ له من الإعراب، وقد دخلته لام الابتداء[4]،وذكر بعضهم أنّ هذا الضمّير " هو " يصحّ أن يكون له محل في الإعراب، أو أن يكون لا محلّ له من الإعراب، فيسمّى حينئذ بالعماد كما يطلق عليه الكوفيّون هذا الاسم.[5]

وكما يلاحظ من خلال النّصوص السّابقة، فإنّ القصد من الإتيان بهذا النّوع من التّركيب هو التّوكيد، والتّوكيد صورة بلاغية ،الغرض منه إعطاء أهميّة لكلمة

---

[1]. المراديّ,ابومحمد حسن بن القاسم(1992م) .الجنى الدّاني في حروف المعانيّ،تحقيق:فخرالدين قباوة ومحمد نديم فاضل,دار الفكر العربي,الطبعة الاولى. ص: 124، وابن هشام. مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب.ج: 1، ص: 274.

[2]. سورة آل عمران، آية: 62.

[3]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 526.

[4]. أبو حيّان. تفسير البحر المحيط، ج: 3، ص: 69.

[5]. الزّجّاج,ابو اسحق إبراهيم بن السري(1988م). معاني القرآن واعرابه،عالم الكتب-بيروت,لبنان, الطبعة الاولى,ج: 1، ص: 423، والنّحّاس,ابو جعفر احمد بن محمد(1421ه). إعراب القرآن،وعلق عليه ووضع حواشيه:عبدالمنعم خليل ابراهيم,منشورات محمد علي بيضون,دار الكتب العلمية,بيروت-لبنان,الطبعة الاولى. ج: 1، ص: 163.

أو عبارة ليست لها هذه الأهميّة عادة .وقد استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب التّوكيديّ المتمثّل بلام الابتداء في معنى قوله تعالى :"لهو القصص الحقّ " ،أي أنّ الّذي تقدّم ذكره من عبوديّة عيسى -عليه السّلام – وغيره" لهو" خاصة دون غيره ممّا يدعى بأنّه ابن الله ، أو إله هو "القصص الحقّ"ذلك الّذي لاتزييف فيه ولا افتراء ،وأنّ رواية الله جلّ وعلا هي الحقّ المطلق ،وليس مجرّد حكاية أو قصّة .

والجملة بأكملها حوت غير مؤكّد مثل : إنّ ، ولام الابتداء ،واسميّة الجملة الّتي تدلّ على الدّوام ، فالقضيّة عقديّة تتمثّل بوحدانيّة الألوهيّة ، وقتل نبيّ من أنبياء الله تعالى وغيرها ؛ لذا جاء السّياق القرآنيّ بهذا النّسق البديع.

وإيراد ضمير الفصل في هذا التّركيب القرآنيّ أفاد التّأكيد ، ودخول لام الابتداء عليه هو؛ لزيادة التّقوية الّتي أفادها ضمير الفصل.

وفي مواضع أخرى من سورة آل عمران أتى مثل هذا التّركيب اللّغويّ، والقصد منه التّوكيد أيضاً، وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) ﴾[1]، فالإتيان بالضّمير المتّصلة به لام الابتداء هو لتأكيد الحصر وتقويته ،وذلك عند حصر العزّة والحكمة في الله سبحانه وتعالى،والغاية هي إبطال مزاعم بعض النّصارى المتمثّلة في ألوهيّة المسيح-عليه السّلام- وقتل اليهود له،وذلك امتهان وعجز لا يتوافقان مع الألوهيّة،فكيف لإله أن يكون عزيزًا وهو محكوم عليه بالقتل ، وبحاجة إلى من ينقذه؟.

وقوله كذلك:(وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (157) ﴾[2]،الآية في أحداث غزوة أحد ،الّتي كان فيها من الشّهداء ما كان، وبما أنّ الموت في سبيل الله هو أشرف موت وأعظمه أجراً قُدِّم القتل على الموت ، فشتّان بين قتل الشّهيد وقتل الإنسان العاديّ ،فالشّهيد ينال رحمة من الله ومغفرة لذنوبه عند أول قطرة من دمه ،ولما كان للقوس غاية الجموح عن الموت والفرار منه زاد في التّأكيد فقال:"لمغفرة".

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 62.

[2]. سورة آل عمران، آية: 157.

والآيات الثّلاث الّتي أتينا بها للحديث عن لام الابتداء فيها،كانت اثنتان منها المبتدأ فيها ضمير منفصل وهذا الضّمير هو ضمير الفصل، وهو أصلاً مسوق للتّكيد، فيعني ذلك أنّ المعنى الّذي تقصده الآية الكريمة مؤكّد بمؤكّد بالإضافة إلى أنّ معنى الجملة الاسميّة مرتبط بالتّجدّد والاستمرار، فيتّضح الأمر أنّ هذه المعاني ذات خصوصيّة أكبر، لذا جاء الأسلوب القرآنيّ لها مؤكّداً بأكثر من نوع من التّوكيد، فالمعاني الثّلاثة كلّها تتعلّق بالذّات الإلهيّة ومن هنا كان التّوكيد أكبر من غيرها من المعاني، فالقصص الحقّ من عند الله تعالى، كذلك فإنّ صفات كالعزّة والحكمة يتّصف بها الله تعالى بشكل مطلق، والمغفرة لا تكون إلاّ من عند الله تعالى، فلمّا ارتبطت هذه المعاني بالصّفات الرّبّانيّة ،جاءت مؤكّدة بغير أسلوب من أساليب التّوكيدالمختلفة، والإنسان العربيّ بسليقته اللّغويّة يستطيع أن يتعرّف المعنى الأكثر أهمّيّة من خلال ما يرتبط به من مؤكّدات.

6.2.1 حقّ الصّدارة للمبتدأ:

يقول عبد القاهر الجرجانيّ في التّقديم والتّأخير" هو باب كثير الفوائد،جمّ المحاسن،واسع التّصرف،بعيد الغاية،لا يزال يفترّ لك عن بديعة،ويفضي بك إلى لطيفة،ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ،ويلطف لديك موقعه،ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ،أن قدّم فيه شيء وحوّل اللّفظ عن مكان إلى مكان" [1].

وهذه الحالة الأخيرة الّتي يتقدّم فيها المبتدأ وجوباً على الخبر، فثمّة أسماء في اللّغة العربيّة لها حقّ الصّدارة في الجملة،مهما كان إعرابها، وهي ليست في باب المبتدأ والخبر فحسب،وإنّما تدخل في باب المفعول به مثلاً، فالواقع أن مثل هذه الأسماء تأخذ مكانها في صدارة الجملة،أيّاً كان إعرابها، فيأتي اسم الشّرط مثلاً، أو اسم الاستفهام ليكون في بداية الجملة، غير أنّ العامل فيه يبقى على حاله وإن لم يتقدّم عليه، بل تبقى قضيّة العلاقة بين العامل والمعمول تحفظ أحقيّة الإعراب لكلّ منهما.

---

1 . الجرجانيّ,ابو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد(1992). دلائل الاعجاز ,تحقيق:محمود محمد شاكر,مطبعة المدني بالقاهرة,ودار المدني بجدة,الطبعة الثالثة.ص:148

ويتقدّم المبتدأ وجوباً على خبره إذا كان المبتدأ اسماً له الصدّارة في الجملة[1]، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (28)﴾[2].

" فـ " من" اسم شرط جازم في محلّ رفع مبتدأ، و "يفعل": فعل الشّرط مجزوم، "وذلك" اسم إشارة في محلّ نصب مفعول به، و "الفاء" رابطة لجواب الشّرط، و"ليس": فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر يعود على " من "،و "من الله": جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال؛ لأنّه كان في الأصل صفة الشّيء، فلمّا تقدّم أعرب حالاً، وفي شيء: متعلّقان بمحذوف خبر ليس"[3].

والسّؤال الّذي يتبادر للذّهن : لماذا تعطي العربيّة حقّ الصّدارة لمثل أسماء الشّرط والاستفهام مثلاً؟

إنّ الأمر متعلّق بشكل رئيس بالنّاحية البلاغيّة والدّلاليّة، فإنّما قصد العرب من تقديم هذه الأسماء الإشارة إلى أهميّتها في الجملة، قال سيبويه:"كأنّهم إنّما يقدّمون الّذي بيانه أهمّ لهم ،وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمّانهم ويعنيانهم"[4]، ويكون القصد الأوّل منها توضيحها، فالسّائل إنّما يقدّم اسم الاستفهام ؛لأنّه يبحث عن جواب المستفهم عنه، فمن هنا قدّم اسم الاستفهام، وكذلك الأمر مع الشّرط، فجواب الشّرط مرتبط بتحقّق فعل الشّرط، لذا قدّم المتكلّم فعل الشّرط واسمه قبل كلّ شيء في الكلام، نظراً لأهميّته، ومن هنا كان استعمال الأسلوب القرآنيّ لهذه المسألة في نواحيها البلاغيّة.

وقد جاءت آيات أُخَرُ في سورة آل عمران، تقدّم فيها المبتدأ على الخبر ؛ لأنّ له الصّدارة في الجملة، ومنها قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

---

[1]. ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، ج:1، ص: 238.

[2]. سورة آل عمران، آية: 28.

[3]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 488، وانظر: أبو حيّان. تفسير البحر المحيط، ج: 3، ص: 32.

4 .سيبويه,الكتاب,ج:1,ص:15

((52))[1]، أي عندما أحسّ عيسى -عليه السّلام –منهم الكفر ، أراد أن ينتدب جماعة ليعينوه على أمر الدعوة فهو لم ينادِ أفرادٍ محدّدين، إنّما طــرح الــدعوة ليــأتي الأنصار الّذين يستشرفون في أنفسهم القدرة على حمل لــواء الــدّعوة ، ولتكــون التّضحية بإقبال نفس لا استجابة لداع ما فقر بمعالجة الأمر بهذا الأسلوب المــؤثّر "مَن"، فكان الجواب "نحن أنصار الله".

وهناك مواضع أخرى في السّورة تقدّم فيها المبتدأ على الخبر لصدارته في الجملة[2].

وفي نهاية هذا الجزء من الدّراسة يجدر بنا أن نقدّم بعضاً من الملحوظات من خلال نظرتنا العامّة في الآيات الكريمة، فقد كانت أغلب الآيات تشتمل على الجمــل الاسميّة في خواتميها، وكأنّ ذلك إشارة إلى أهميّة الفكرة الّتي تــشير إليهــا الآيــة الكريمة من خلال الجملة الاسميّة، خاصّة وأنّها تفيد الدّوام والاستمراريّة والتّجدد.

والجمل الاسميّة الواردة في الآيات الكريمة تحوي عناصر توكيــد، جعلــت المبتدأ يتقدّم وجوباً على خبره، ومن هذه العناصر لام الابتداء، والضّمير المنفصل، وأدوات الحصر، وكان أغلب هذه الجمل يتعلّق بالنّواحي العَقَدية، لا سيّما المعــاني الّتي تخصّ الصّفات الإلهيّة.

لقد اشتملت آيات سورة آل عمران على بعض الأسماء الّتي لها الصّدارة في الكلام، والغرض منها لفت انتباه اللمّع إلى الفكرة الرّئيسة الّتــي تعالجهــا الآيــة الكريمة، وانحصرت هذه الأسماء باسم الشّرط، ولم نجد آيات فيها اسم استفهام.

يمكننا بشيء من التّعميم أن نضفي الصّفات البلاغيّة والتّركيبيّة الّتي رأيناهــا في سورة آل عمران على أسلوب القرآن التّركيبيّ البلاغيّ بشكل عامّ، فما تتّسم به مركّبات سورة آل عمران، تتّسم به غيرها من مركّبات السّور القرآنيّة الأخرى؛ لأنّه نسق واحد متكامل.

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 52.

[2] سورة ال عمران الايات, 52, 53.

7.2.1 تقديم الخبر وجوباً:

يقول الجرجانيّ:"واعلم أنّ تقديم الشّيء على وجهين تقديم يقال إنّه على نيّة التّأخير ،وذلك في كلّ شيء أقررته مع التّقديم على حكمه الّذي كان عليه ، وفي جنسه الّذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ ،والمفعول إذا قدّمته على الفاعل ، كقولك:(منطلق زيد، وضرب عمراً زيد)[1].

تتكوّن الجملة الاسميّة من المبتدأ والخبر، وهذان العنصران لهما ترتيب خاصّ في الجملة، فالمبتدأ في بداية الجملة والخبر بعده ، و هذا الجزء من الدّراسة سيتناول تقديم الخبر على المبتدأ وجوباً، لأنّ التّقديم في الأصل لا يكون إلاّ لغاية معنوية وأهميّة بلاغيّة.

وقد حدّد النّحاة مجموعة من المحدّدات الّتي يأتي معها الخبر مقدّماً على المبتدأ وجوباً، وهي:

" الأوّل: أن يكون المبتدأ نكرة والخبر ظرفاً أو جارّاً ومجروراً، نحو: عندك رجل، وفي الدّار امرأة، فيجب تقديم الخبر هنا، فلا تقول : رجل عندك، ولا امرأة في الدّار، وقد أجمع النّحاة على منع ذلك ..فإن كان للنّكرة مسوّغ جاز الأمران، نحو: رجل ظريف عندي، وعندي رجل ظريف.

الثّاني: أن يشتمل المبتدأ على ضمير يعود إلى شيء في الخبر، نحو : في الدّار صاحبها، فصاحبها مبتدأ، والضّمير المتّصل به راجع إلى الدّار، وهو جزء من الخبر، فلا يجوز تأخير الخبر، نحو :صاحبها في الدّار، لئلا يعود الضّمير إلى متأخّر لفظاً ورتبة.

الثّالث: أن يكون الخبر له صدر الكلام .. نحو أين زيدٌ؟ فزيد مبتدأ مؤخّر، وأين خبر مقدّم ولا يؤخّر، فلا تقول: زيدٌ أين، لأنّ الاستفهام له صدر الكلام...

الرّابع: أن يكون المبتدأ محصوراً، نحو: إنّما في الدّار زيدٌ "[2].

---

[1] .الجرجاني,دلائل الاعجاز,ص:149

[2] . ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، ج: 1، ص: 240 ــ 243،و ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف. أوضح المسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ج: 1، ص: 212. والأشمونيّ,ابو الحسن علي بن

وبناءً على هذا التّقديم النّحوي ،سيكون الإطار العامّ الّذي سنتحرّك فيه بإذن الله تعالى للحديث عن تـ قديم الخبر وجوباً، وسيتمّ الحديث عن كلّ ناحية على حـدة، حسب الحالات الّتي يأتي فيها الخبر مقدّماً على المبتدأ وجوباً.

يقول البلاغيّون إنّه إذا تقدّ م الخبر على المبتدأ ،إنّما يكون تقديمه لغرض بلاغيّ ومن الأغراض الّتي يتقدّم لأجلها الخبر على المبتدأ التّـخصيص، فحين نقول مثلاً:زيد قائم، إنّما يكون هذا القول إخبار اً أوليّاًلحال المبتدأ، أمّـا إذا كـان المتلقّي يظنّ أنّ زيداً قاعد ، فإنّه يتوجّ علينا أن نقول له : قائم زيد، ففي هذه الجملة تخصيص لزيد بالقيام دون غيره من الأحوال [1].

أمّا المعنى الثّ اني الّذي يفيده التّقديم ،فهو الافتخار، وذلك نحو قولك: تميميّ أنا، فهذه الجملة تحوي معنى الافتخار، في حين أنّ الجملة لا تحوي هذا المعنى لـو كانت: أنا تميميّ، ففي الجملة الأولى نرى معنى الافتخار الّ ذي نتج عن تقديم الخبر على المبتدأ [2].

ومن المعاني كذلك التّ فاؤل و التّشاؤم،ومثال ذلك أن نقـول : نـاجحٌ زيـدٌ، ومقتولٌ عمرو، ففي هذا التّقديم غرض بلاغيّ تمثّل في التّفاؤل أو التّشاؤم [3].

محمد(1998م). شرح الأشمونيّ لألفيّة ابن مالك، دار الكتب العلمية,بيروت-لبنان,الطبعة الاولى.ج: 1، ص: 202، والأزهريّ. شرح التّصريح على التّوضيح، ج: 1، ص: 219، والصّبّان,ابو العرفان محمد بن علي(1997م). حاشيّة الصّبان على شرح الأشمونيّ لألفية بن مالك,دار الكتب العلمية ,بيروت-لبنان,الطبعة الاولى. ج: 1، ص: 313، والنّجار، محمد عبد العزيز(2001م). ضياء السالك إلى أوضح المسالك،مؤسسة الرسالة,الطبعة الأولى. ج: 1، ص: 212.

[1]. ابن الأثير، نصر الله (1960م). المثل السائر، مطبعة نهضة مصر، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى, ج: 2، ص: 38، والقزوينيّ. الإيضاح في علوم البلاغة، ج: 1، ص: 101، والعلويّ,يحي بن حمزة(1914م). الطّراز، مطبعة المقتطف,القاهرة-مصر.ج: 2، ص: 31، وج: 2، ص: 68، والسّامرائي. معاني النّحو، ج: 1، ص: 137 ــ 139.

[2]. الاستراباذي. شرح الرّضيّ على الكافيّة، ج: 1، ص: 107، والسّامرّائيّ. معاني النّحو، ج: 1، ص: 139.

[3]. القزوينيّ. الإيضاح في علوم البلاغة، ج: 1، ص: 101.

وإنّما تقدّم العرب الخبر على المبتدأ من أجل الاهتمام، وتعدّدت صور هذا الاهتمام، يقول سيبويه : " كأنّهم إنّما يقدّمون الّذي بيانه أهمّ لهم، وهم ببيانه أعنـــى، وإن كانا جميعاً يهمّانهم ويعنيانهم "[1].

الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة:

وسنعرض للآيات الكريمة التي احـــتوت هذا الـــتّركيب اللّغوي، إذ يقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66)﴾[2].

أي بمعنى ها أنتم القوم الّذين قالوا في إبراهيم ما قالوا "حاججتم"وجادلتم فيما لكم به علم من أمر دينكم الّذي وجدتموه في كتبتكم،وأتتكم به رسل الله من عنده،وفي غير ذلك مما أوتيتموه وثبتت عندكم صحته.

يقول محيي الدّين درويش في إعراب هذه الآيـــة الكريمـــة : " ولكـــم" جـــارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم "[3].

فالخبر في الآية تقدّم على المبتدأ وجوباً، وذلك أنّ القاعدة النّحوية تقول :إنّه إذا كان الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة، وجب تقديم الخبر على المبتدأ،والغرض الّذي تقدّم لأجله الخبر على المبتدأ في هذه الحالة هو التّخصيص والحصر[4]، فإذا أردنـــا أن نطبق ما قرأناه من قبل على الآية الكريمة فهذا يعني أنّ الله يجعل المحاجّة فيما كان للمخاطبين به علم فقط، وهو من الطّبيعيّ أن يحاجج المرء بما يعلم، وينحصر حجاجه بذلك.

---

1. سيبويه. الكتاب، ج: 1، ص: 15.
2. سورة آل عمران، آية: 66.
3. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 528 ــ 529.
4. الزّمخشريّ,ابوالقاسم محمود بن عمر(1948م).الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل,مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده, القاهرة-مصر,ج: 3، ص: 236، والسّامرّائي. معاني النّحو، ج: 1، ص: 140.

ويقول الله في الآية الكريمة : ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117)﴾[1].

يقول السّمين الحلبيّ: " فيها صرّ"في محلّ جرّ نعت لريح، ويجوز أن يكون "فيها صَرّ"، جملة من مبتدأ وخبر، ويجوز أن يكون " فيها "وحده هو الصّفة، و"صرّ"فاعل به، وجاز ذلك لاعتماد الجارّ على الموصوف، وهذا أحسن، لأنّ الأصل في الأوصاف الإفراد، وهذا قريب منه "[2].

أمّا معنى الصرّفقد ذهب الجمهور على أنّه برد،وقيل هوصوت لهيب النّار في تلك الرّيح.

ومما سبق يتبيّن أنّ الجملة تأتي على أحوال في موضعها الإعرابي، فقد تكون صفة، وقد تكون جملة منفردة بذاتها، إلى غير ذلك ممّا ورد في النّصّ السّابق.

ويقول مكيّ في مشكل إعراب القرآن:"فيها صرّ"ابتداء وخبر في موضع خفض على النّعت ل"ريح"، وكذلك أصابت حرث قوم "[3].

فمن خلال النّصين السّابقين نلحظ أنّ تركيب الجملة يتمثّل بأنّ الخبر قد تقدّم على المبتدأ، وتقدّم الخبر هذا إنّما كان على وجه الوجوب، وذلك أنّ الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة.

أمّا النّاحية البلاغيّة الّتي تتعلّق بتقديم الخبر ، فتتمثّل من خلال أنّ المعنى يرتبط بالعذاب الّذي قد يحلّ بالكافرين،فهي نوع من المساءة الّتي تحلّ بهؤلاء القوم الظّالمين.

ومن الملامح البلاغيّة أيضاً في هذا التّعبير "فيها صرّ"هو التّشخيص والتّجسيد، أي كأنّ الصرّ شيء مادّيّ محمول داخل هذه الرّيح، فهي تحملـه إلى الحرث، وهذا هو الغرض البلاغيّ الّذي خرج إليه التّقديم.

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 117.

[2]. السّمين الحلبيّ,ابو العباس شهاب الدين,احمد بن يوسف, الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، ج: 3، ص: 359.

أن يكون الخبر له الصّدارة في الجملة:

فالخبر إذا كان له الصّدارة في الجملة، فإنّه يتقدّم وجوباً على المبتدأ، وقد ورد في سورة آل عمران موضعين يحتويان على خبر له الصّدارة في الجملة، يقول الله تعالى :﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165) ﴾[1].

حيث يقول محيي الدّين درويش في إعراب هذه الجملة : " أنّى" اسم استفهام خبر مقدّم، و"هذا"مبتدأ مؤخّر، والجملة في محلّ نصب مقول القول، والمعنى من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل ونحن نقاتل في سبيل الله ،ومعنا رسول الله "[2]

فالخبر -وهو اسم الاستفهام - تقدّم في هذه الآية الكريمة لأنّ القاعدة النّحويّة تقتضي ذلك من جهة؛ ولأهميّة المعنى الّذي عبّرت عنه هذه الآية من جهة أخرى،وهو مستعمل في لازم معناه الّذي يوضّح الحضّ على تحصيل العظة والعبرة،ويجوز أن يكون مبنيّاً على تنزيل العالِم منزلة الجاهل ، حيث أظهر من الحرص على الغنيمة ومن التأوّل في أمر الرّسول لهم في الثّبات، ومن التّلهف على ما أصابهم من الهزيمة والقتل ماجعل حالهم كحال من يجهل النّصر والخذل بيد الله تعالى، فالخبر مستعمل في معناه على خلاف مقتضى الظّاهر" [3] ".

أمّا الموضع الثّاني فيتمثّل بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (25) ﴾[4]. وكيف سؤال عن حال، وهي هنا تهديد ووعيد،وموضعها نصب على الظّرف،والعامل فيها المعنى الّذي دلّت عليه

---

1. سورة آل عمران، آية: 165.

2. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 2، ص: 100. الدّمشقيّ, أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت775ّ) .اللباب في علوم الكتاب ,تحقيق: الشيخ عادل احمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض,دار الكتب العلمية, بيروت-لبنان,الطبعة الأولى(1998م). ج6 ص25

3 .ابن عاشور.التحرير والتنوير,ج:1,ص:153

4. سورة آل عمران، آية: 25.

كيف، والظّروف سنقع فيها تعمل فيها المعا ني الّتي يدلّ عليها الخطاب بخلاف المفعولات،أي فكيف يكون حالهم أو كيف يصنعون إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه وهو يوم القيامة ،وأنّ كذبهم سينكشف في هذا اليوم ،وسيظهر كلّ كذّاب ، وكلّ داعية بغير الحق.

و " كيف "، اسم له الصّدارة كسابقه في الكلام، وقد أشار محيي الدّ ين درويش إلى أنّ هذا الاسم له حالتان في الإعراب، فقال : " كيف اسم استفهام في محلّ رفع خبر مقدّم، والمبتدأ محذوف تقديره حالهم "[1]، أمّا الإعراب الثّاني لها ، فيتلخّص بأن تكون حالاً [2]، وما يعنينا في هذا المكان أن تكون " كيف " في محلّ رفع خبر مقدّم، والعرب -كما نعلم- تقدّم للأهميّة، فقد تقدّم الخبر هنا وحذف المبتدأ وهذا الحذف والتّقديم يوجبان المزيد من البلاغة لما فيه من استحضار كلّ نوع من أنواع العذاب في هذه الآية. فالحال كثير ما يحذف مع "كيف" لدلالته عليها، نقول مثلاً:كنت أساعده – ولم يساعدني-فكيف لو ساعدني ؟أي فكيف يكون حاله لو ساعدني؟ .

أن يكون الخبر محصوراً في المبتدأ:

وهذه الحالة الثّالثة الّتي يتقدّم فيها الخبر وجوباً على المبتدأ، والحصر إنّما يكون ب " إنّما "، أو بـ "لا و إلاّ "، ولم نجد على هذا النّمط في سورة آل عمران سوى آية واحدةهي قوله تعالى : ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ

---

[1]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 485.

[2]. الخراط, احمد بن محمد(1426ه). المجتبى من مشكل إعراب القرآن،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف,المدينة المنورة-السعودية. ج: 1، ص: 114.الدّمشقيّ،اللّباب في علوم الكتاب, ج5, ص120

وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20)﴾[1] أي ليس عليك هداهم ،إنّما عليك إقامة البرهان لهم ، فإذا بلّغت فقد أديت ما عليك[2].

فالخبر قد انحصر في المبتدأ في هذه الآية، وهي تحوي خبراً شبه جملة مكوّنة من الجارّ والمجرور، فـ " عليك" جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم، والبلاغ مبتدأ مؤخّر "[3].

ويذكر السيّوطي المواضع الّتي تفيد الحصر في اللّغة، ويبيّنها أنّها على ثلاثة أنحاء هي:

الأوّل: ما كان بالنّفي بـ " لا " أو " ما "، ومن ثمّ يتبع ذلك بـ " إلاّ ".

الثّاني: الحصر بـ " إنّما "، وهو قريب في معانيه من النّوع الأوّل.

الثّالث: بتقديم ما يستحقّ التّأخير، وهي تكون بقوّة جملتين[4].

وهذه الآية الكريمة تمثّل النّوع الثّاني من الأنواع الّتي ذكرها السّيوطي من حالات الحصر، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّنا أمام حالتين مجتمعتين، ألا وهما الحصر بـ " إنّما " والحصر بتقديم الخبر على المبتدأ، وهي الحالة الثّالثة من حالات الحصر الّتي ذكرها السّيوطيّ.

فالآية الكريمة حوت نوعين من الحصر، وهذا دليل على زيادة الاهتمام بالمعنى المقصود فالمعنى أنّ الخطاب للرّسول - صلّى الله عليه وسلّم - إنّك يا محمّد ليس عليك في هداية النّاس إلاّ تبليغهم، وما سوى ذلك فليس منوطاً بك، فالجملة بقوّة جملتين هما:

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 20.

[2]. الشافعي البغوي,ابو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء(ت510ه). تفسير البغويّ تحقيق:عبدالرزاق المهدي,دار احياء التراث العربي,بيروت الطبعة الاولى(1420ه).ج:2,ص:20.

[3]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 479.

[4]. السّيوطيّ,جلال الدين(1988م). معترك الأقران في اعجاز القران,دار الكتب العلمية,بيروت-لبنان,الطبعة الاولى. ج: 1، ص: 145 ـ 146.

عليك البلاغ.

ليس عليك شيء غيره.

ومن هنا نلمح الموضع البلاغيّ المتمثّل بالحصر من خلال أداتين من أدواته، تمثّلت الأولى بـــ " إنّما "، والثّانية، بتقديم الخبر على المبتدأ.

8.2.1 احتواء المبتدأ على ضمير يعود على جزء من الخبر:

وهذا هو النّوع الرّابع الّذي يتقدّم فيه الخبر وجوباً على المبتدأ، غير أنّنا لم نجد له آية نمثّل بها على هذا النّوع وحدها، فلا يوجد في سورة آل عمران - مناط دراستنا - أيّ موضع تقدّم فيه الخبر وجوباً على المبتدأ لاحتوائه على ضمير يعود إلى شيء من الخبر.

وفي نهاية هذا الجزء من الدّراسة، نجد أنّ المواضع الّتي تقدّم فيها الخبر وجوباً على المبتدأ كانت قليلة جدّاً، إذا ما نظرنا إلى المساحة الكبيرة الّتي يشغلها تقديم المبتدأ وجوباً، والأمر في ذلك عائد إلى أنّ الله تعالى يقصد إلى المعنى مباشرة، ويأتي بالتّقديم للأهميّة، خاصّة إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ القرآن كلّه جدير بالأهميّة، فليس هناك موضع يقلّ أهميّة عن غيره، ومن هنا لم يكن التّقديم للخبر شاغلاً مساحة كبيرة في سور الكتاب الحكيم، وإنّما كان الأمر حسب المعنى، وما دخل التّقديم إلّا في الأمور الّتي يتحدّث فيها الحقّ جلّ وعلا عن قضيّة بشريّة، لا عن قضيّة عقديّة مثلاً، أو عن قضيّة تدخل في باب التّشريع، بل كانت المواضع في أغلبها في إطار الخطاب الموجّه إمّا للرّسول - صلّى الله عليه وسلّم - أو لغيره من النّاس، فمن هنا كان بعض الحديث أولى بالأهميّة من بعضه الآخر، فكان بـــ ذلك التّقديم من الله تعالى ؛ لبيان أهميّة ما قدّمه؛ وليؤكّد في بعض المواضع المعنى الدّاخل في الآية الكريمة.

جواز تقديم الخبر:

الأصل في الجملة الاسميّة أن يكون المبتدأ فيها متقدّماً على الخبر، ولكن ثمّة مواضع في اللّغة العربيّة تعلو من تقديم الخبر على المبتدأ فائدة تُرجى، ويكون

بالتّالي التّقديم لغرض بلاغيّ، ومن هنا سنقوم بدراسة تقديم الخبر على المبتدأ في سورة آل عمران جوازاً لنتبين بعض الملامح البلاغيّة في ذلك.

يقول البلاغيّون إن للتّقديم أغراضاً متعدّدة يحكمها السّياق، وتحكمها أيضاً طبيعة الحال، ومقتضى الكلام، ومن هنا فإنّ أبرز الأغراض الّتي يكون من أجلها تقديم الخبر تتلخّص في تخصيصه بالمسند إليه، أي قصر المسند إليه على المسند، كقولك مسلم أنا، وعربيّ أنا، والتّبيه من أول الأمر على أنّ المسند خبر لا نعت، والغرض الثّالث يتمثّل بالتّفاؤل، أي إسماع المخاطب من أول الأمر لما يسرّ، و من الأغراض التّشويق إلى ذكر المسند إليه، و كذلك المساءة نكاية بالمخاطب[1].

وبعد الحديث عن المعاني الّتي يفيدها تقديم الخبر ننتقل إلى النّاحية التّطبيقية من سورة آل عمران، إذ يقول سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7)﴾[2].

الحديث في هذه الآية الكريمة عن القرآن الكريم ذاته، ففي هذا القرآن آيات غاية في الإحكام؛ لذا وصفها الله تعالى بأنّها أمّ الكتاب، والإحكام في الشّيء ألاّ يتطرّق إليه الشّك أو النّقص[3]. والآيات المحكمة هي الّتي أبرم حكمها فلم ينبتر، وكأنّ الآية المحكمة تحكم النّفس عن جولانها وتمنعها من جماحها وتضبطها إلى محال مصالحها.

وقد أشارت الآية إلى أنّ القرآن صنفان: محكمات وأضدادها الّتي سُمّيت متشابهات، ثمّ بيّنت أنّ المحكمات هي أمّ الكتاب، فاحتمل أن يكون المراد من الأمّ الأصل أو المرجع، وهما متقاربان أي هنّ أصل القرآن أو مرجعه، وليس يناسب

---

1. عباس، فضل حسن.(2005م)البلاغة فنونها وأفنانها،دار الفرقان,اربد-الاردن,عمان-الاردن,الطبعة العاشرة. ج: 1، ص: 236 - 240، والعاكوب، عيسى علي(2005م). المفصل في علوم البلاغة العربية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية,منشورات جامعة حلب-سوريا,ص: 204 - 206.
2. سورة آل عمران، آية: 7.
3. النحاس. إعراب القرآن، ج: 1، ص: 143، وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(1999م). تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ج: 2، ص: 4.

هذين المعنيين إلاّ دلالة القرآن، إذ نُزِّل للإرشاد والهدى، فالمحكمات هي أصول الاعتقاد والتّشريع والآداب والمواعظ ، وكانت أصولاً لذلك باتّضاح دلالتها بحيث تدلّ على معان لا تحتمل غيرها . أمّا المتشابهات فهي الّتي دلّت على معان تشابهت في أن يكون كلّ منها هو المراد[1].

و " منه " الجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم، و"آيات"مبتدأ مؤخّر مرفوع بالضّمّة، و"محكمات" صفة لآيات[2].

أمّا من ناحية التّركيب ، فقد كان جواز تقديم الخبر في هذه الآية الكريمة ناجماً عن أن المبتدأ موصوف رغم أنّه نكرة، فلو لم يكن المبتدأ موصوفاً ، لكان تقديم الخبر على سبيل الوجوب لا على سبيل الجواز، ومن هنا كانت جهة التّركيب، أمّا من ناحية المعنى فما كان التّقديم عند العرب إلاّ من أجل الاهتمام بما يقدّمونه، فالتّقديم في الآية الكريمة يدلنا على أهميّة بعض الآيات القرآنيّة الواردة في كتاب الله تعالى واتّضاح معانيها بحيث تتناولها أفهام معظم المخاطبين بها ،فهي أصل القرآن المرجوع إليه في حمل معاني غيرها عليها للبيان والتفريع، وأنّ المحكم جاء للأحكام المطلوبة من الخلق،أي افعل كذا ،ولا تفعل كذا، وما دامت أفعالاً مطلوبة ففعلها ثواب وتركها عقاب؛ لذا جيء بها بصورة واضحة حتّى لا يحتجّ أحد بأنّ الآيات غامضة لم يُستَطَع فهمها[3].

ومن ناحية أخرى ، فإنّه يمكن القول إنّ هذا التّقديم والتّنسيق جاء لبيان إعجاز القرآن الكريم ،وتحدّياً لأصحاب الألباب المتكبّرين الّذين يدّعون العلم والكمال، فالكتاب منه الآيات الواضحة المعنى والمباشرة الفهم، ومنه الآيات الّتي تحتمل غير دلالة وغير تأويل ، وتُحار العقول في تأويلها وتفسيرها.

ومن الأغراض البلاغية الّتي أفادها التّقديم هنا تمييز الخبر على أنّه خبر وليس صفة، فمن الأولى أن يتقدّم الخبر في هذا الموضع حتى نميز بينه وبين احتماليّة أن يكون صفة، فلو تأخّر الخبر لتوهّم متوهّم أنّه صفة لا خبر.

---

1. الشعراوي, تفسير الشّعراوي –خواطر،ج:2،ص:1273 .
2. السمين الحلبي. الدر المصون، ج: 3، ص: 25، وابن عاشور. التحرير والتنوير، ج: 3، ص: 153، ودرويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 457.
3 . الشعراوي,تفسير الشعراوي- خواطر,ج:2,ص:1273

وفي موضع آخر يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15)﴾[1].

"للّذين اتقوا عند ربهم"، الجارّ والمجرور متعلّق بمحذوف خبر مقدّم، وجملة "اتقوا" لا محلّ لها من الإعراب، لأنّها صلة الموصول، و ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: ظرف متعلّق بمحذوف حال من جنّات، لأنّه كان في الأصل صفة لها ، فلمّا تقدّم عليها أعرب حالاً، و "جَنَّاتٌ" مبتدأ مؤخّر... ، وجملة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ صفة لجنّات "[2].

فالخبر قد تقدم على المبتدأ، وتقدمه هذا إنما كان جوازاً لا وجوباً، والسبب الذي منع من تقديم الخبر وجوباً هو أن المبتدأ المؤخر جاء منعوتاً، فكان النعت مسوغاً من مسوّغات الابتداء بالنّكرة؛ لذا كان التّأخير على سبيل الجواز لا على سبيل الوجوب.

ومن ناحية بلاغيّة ، فإنّ الخبر قد تقدّم جوازاً على المبتدأ لـ لتّخصيص، فالمسند يختصّ بالمسند إليه، إذ خصّ الله تعالى الّذين يعملون الصّالحات بالجنّة التّي تجري من تحتها الأنهار والنّعيم الأكبر الّذي ما بعده نعيم؛ تعويضاً لهم عن لذّة المال والبنين والأنعام والحرث.

وكذلك فقد تقدّم المبتدأ وتأخّر الخبر؛ لتشويق المؤمنين وشدّ انتباههم لما ينتظرهم من الأجر والثواب ، لا سيّما أنّ الآية قد صُدّرت بقوله "قل أؤنبئكم" والنّبأ هو الخبر العظيم الّذي تشتاق النّفس لسماعه وتتلهّف لمعرفته، ففي هذه الجنّات من الخيريّة والنّعيم الدّائم الّذي لا يفنى، وهي جنّات جاهزة لا تتطلّب من المؤمنين حركة ،أو تعباً، أو جهداً كالحرث والزّرع الّذي في الدّنيا والأبهى من ذلك كلّه هو

---

1. سورة آل عمران، آية: 15.

2. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 471، الأخفش,أبو الحسن سعيد بن مسعده(1990م). معاني القرآن،تحقيق:هدى قراعة,مكتبة الخانجي,القاهرة-مصر,الطبعة الأولى. ج: 1، ص: 211، والسمين الحلبي. الدر المصون، ج: 3، ص: 66. و مكي .مشكل إعراب القرآن ج1،ص153

العنديّة الّتي تتمتّع بها هذه الجنّات فهي عند الرّب الأعلى الّذي يكون النّظر لوجهه الكريم هو مطمح كلّ مؤمن وغايته[1].

ويقول الله تعالى في موضع آخر من سورة آل عمران: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55)﴾[2].

" ثمّ"حرف عطف للتّراخي، و"إليّ" جارّومجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم، و"مرجعكم" مبتدأ مؤخّر "[3]

وجملة "إليّ مرجعكم" عطف على جملة "وجاعل الّذين اتّبعوك فوق الّذين كفروا"، ومضمون كلتا الجملتين من شأن جزاء الله متبعي عيسى والكافرين به، "وثمّ" للتّراخي الرّتبيّ.

والظّاهر أنّ هذه الجملة ممّا خاطب الله به عيسى، وأنّ ضمير مرجعكم وما معه من ضمائر المخاطبين عائد إلى عيسى والّذين اتّبعوه والّذين كفروا به.

ويجوز أن يكون الخطاب موجّهاً للنّبي-صلّى الله عليه وسلّم- فتكون "ثمّ" للانتقال من غرض إلى غرض زيادة على التّراخي الرّتبيّ والتّراخي الزمنيّ.

" والمرجع"مصدر ميميّ معناه الرّجوع، وحقيقة الرّجوع غير مستقيمة هنا، فتعيّن أنّه رجوع مجازيّ، والمراد به البعث للحساب بعد الموت، ويجوز أن يكون مراد به انتهاء إمهال الله إيّاهم في أجل أراده فينفّذ فيهم مراده في الدنيا، ويجوز الجمع بين المعنيين باستعمال اللّفظ في مجازيه"[4].

ففي غير القرآن يجوز أن نقول مرجعكم إليّ بينما التّعبير القرآني كان على " إليّ مرجعكم "،أي بمعنى إنّني راجعكم إلى حكمي، وقد ظهر هنا أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، حيث ذكر الله تعالى اليهود الّذين كذّبوا عيسى –عليه السّلام- والحواريين الّذين آمنوا به وآزروه، أو-كما تقدّم- يجوز أن يكون

---

1 . الشعراوي .تفسير الشّعراوي-خواطر، ج:3,ص:1323 .

2. سورة آل عمران، آية: 55.

3. درويش. إعراب القرآن، ج: 1، ص: 521.

4 . ابن عاشور .التحرير والتنوير, ج:3, ص:260 .

الخطاب للنّبيّ –عليه السّلام– فالتفت على طرق الخطاب للجميع؛ ليكون التّهديد أبلغ وأشدّ زجراً.

وتقديم الجارّ(إلى) والمجرور(ياء المتكلّم) تخصيص من الله تعالى بأنّ رجوع العباد كلّهم أينما كانوا إليه هو، فكان تقديم الخبر يفيدنا الحصر والقصر على أنّ الله تعالى هو المرجع الأخير لعباده، سواء أكان الرّجوع مجازيّاً أم حقيقيّاً، ولا يوجد أحد من هؤلاء العباد لا يرجع إلى الله سبحانه، وتأكيد جزائهم وعذابهم في الآخرة.

وأنتقل إلى موضع آخر يقول فيه الله تعالى في وصف أهل الكتاب: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)﴾[1].

"الجملة مستأنفة مسوقة للشّروع في بيان خيانتهم في الأموال بعد بيان خيانتهم في الدّين، و"الواو" استئنافيّة، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم، و﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾،" من" اسم موصول مبتدأ مؤخر، ولك أن تعربها نكرة موصوفة أيضاً، أي ناس، وهي مبتدأ مؤخّر "[2].

فالخبر قد تقدّم على المبتدأ، رغم أنّ المبتدأ معرفة، في وجه من وجهي الإعراب، وبهذا التّعريف الّذي هو للمبتدأ ينتفي كون المبتدأ متأخّراً وجوباً عن خبره، بل كان تأخّره وتقدّم الخبر جوازاً، وهذا التقدّم إلّا كان لسبب بلاغيّ، ولغرض تحصّل من هذا التّقديم.

يقول ابن عاشور في التّقديم هنا: "تقديم المسند في قوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ في الموضعين للتّعجب من مضمون صلة المسند إليها، ففي الأوّل للتّعجب من قوّة الأمانة مع إمكان الخيانة، ووجود العذر له في عادة أهل دينه، وفي الثّاني للتّعجب من أن يكون الخون خلقاً لمتبع كتاب من كتب الله، ثم يزيد التّعجب عند

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 75.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 531، السمين الحلبي. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج: 3، ص: 260.

قوله: " ذلك بأنّهم قالوا... "، فيكسب المسند إليه عجب الحال، وعُدّي تأمنه بالباء مع أن مثله يتعدّى بـــ " على "، كقوله: " هل آمنكم عليه "[1] "[2].

فواضح من ذلك أنّه عدّ تقديم الخبر في هذه الآية الكريمة من باب التّعجـــب، غير أنّنا نرى فيه كذلك أنّ المقصد من التّقديم هو التّخــصيص، إذ جـــاءت الآيـــة الكريمة لتتحدّث عن بعض من أهل الكتاب، ثمّ خصصتّهم بالّذين إذا أَمِنهم الواحد منّا على قنطار فإنّه ملتزمٌ بتأدية الأمانة، ومنهم من هو على عكس ذلك في الخيانة.

وفي موضع آخر يقول الله تعـــالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97)﴾[3].

" الواو" استئنافيّة والجملة مستأنفة مسوقة لفرض الحجّ على النّاس، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم، و ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ جارّ ومجرور متعلّقان بما تعلّق به الخبر، وهو الله، و"حجّ" مبتدأ مؤخّر، و ﴿الْبَيْتِ﴾ مضاف إليه"[4].

ففي الآية الكريمة تقدّم الخبر على المبتدأ جوازاً، و المبتدأ معرفة ؛ لذا جاز التّقديم، في حين لو أنّ كلمة " حجّ البيت" بقيت على حالها دون إضافة،لكان تقدّم الخبـــر وجوباً لا جوازاً.

ولو افترضنا أنّ التّقديم قد أفاد التّخصيص فإنّه يترتّب على ذلك أن نخصّص ما على النّاس لله بالحجّ فحسب، وهو الفائدة العامّة للتّقديم، فالتّقديم يفيـــدنا الحـــصر والقصر، غير أنّ الواقع لا يقول ذلك، فالله قد فرض على النّاس عبادات أخرى غير الحجّ، والحجّ إنّما هو عبادة من بين هذه العبادات المتعدّدة.

---

[1]. سورة يوسف، آية: 64.

[2]. ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج: 3، ص: 285.

[3]. سورة آل عمران، آية: 97.

[4]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 568، و السّمين الحلبي. الدّر المصون، ج: 3، ص: 323.الانصاري,أبو يحي زكريا بن محمد(2001). وإعراب القرآن العظيم ,تحقيق:موسى علي موسى مسعود,رسالة ماجستير في كلية دار العلوم,إشراف محمد علي حسنين صبره,جامعة القاهرة,مصر,ج1،ص208

إنّ الغرض الّذي خرج إليه تقديم الخبر هنا هو التّمييز بين الخبر والصّفة، فقد تقدّم الخبر؛ لبيان أنّه خبر لا صفة، فلو تأخّر لكان صفة، لذا كان الأولى تقديمه.

ومن الأغراض البلاغيّة الّتي أفادها تقديم الجارّ والمجرور "لله" التّوكيد والحصر والتّخصيص، فالحجّ فريضة عظيمة لله تعالى جعلها دائمة في أعناق النّاس ما استطاعوا إليه سبيلا، في حين أنّ الجملة الاسميّة بركنيها المسند والمسند إليه -الدّالّة على الدّيمومة والاستمراريّة تعزّز كذلك مكانة الحجّ وأنّه حقّ لله تعالى في رقاب العباد وفرض واجب لا يسقط على الإطلاق.

والمقصود ب ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾ زيارته زيارة عظيمة مقدّسة دون أذىً لقاصديه أو القائمين عليه ، وقد عبّر هنا بالبيت لأنّه في الزّيارة ، وعادة العرب زيارة معاهد الأحباب وأطلالهم وأماكنهم.

وثمّة آية أخرى من آيات كتاب الله العزيز، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(180) ﴾[1].

" الواو استئنافيّة، و " لله " جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم، و"ميراث " مبتدأ مؤخّر، و"الأرض" عطف على السّماوات "[2].

إنّ الخبر في هذه الآية قد تقدّم على المبتدأ، وهذا التّقدّم على وجه الجواز لا الوجوب، إذ إنّ المبتدأ في هذه الآية معرفة وليس نكرة ، فلو كان نكرة ، لتقدّم الخبر عليه وجوباً لا جوازاً؛ لأنّه لا يجوز الابتداء بالنّكرة دون مسوّغ.

والخبر يستحقّ التّأخير، وإذا تقدّم عنصر لغويّ حقّه التّأخير، أفاد ذلك الحصر والقصر، و بالتّالي فإنّ الغرض الّذي خرج إليه تقدّم الخبر هنا يتمثّل في أنّه أفاد التّخصيص للمسند إليه، فالله عزّ وجلّ هو الّذي يرث الأرض والسّماء، ولا أحد غيره يدخل في هذا الحكم، وهذا النّداء موجّه للّذين بخلوا في بذل المال في سبيل الله ، وقصّروه على أنفسهم؛ لذلك يبيّن الله أنّه وحده الوارث للسّماوات والأرض.

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 180.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 2، ص: 118.

فالفائدة من هذا التّ ذييل لله ميراث السّ ماوات والأرض هي وعظ المانعين و إرشادهم، وثناء للمنفقين وتثبيتهم.

وفي موضع آخر يقول الله سبحانه وتعالى :﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)﴾[1].

فحسب في هذه الآية الكريمة تعني كافينا أي أنّ الله تعالى يكفينا، فهو القادر على ذلك[2]، ويقول محيي الدّين درويش: " حسبنا" خبر مقدّم، و"نا" مضاف إليه، و "الله" مبتدأ مؤخّر "[3]. والجملة بعد القول في محلّ نصب.

ففي هذا السّياق تقدّم الخبر على المبتدأ، غير أنّ القرينة لم تكن لفظيّة في تحديد كلّ منهما، أي بعبارة أخرى، إنّ القرينة الّتي جعلتنا نحكم على الأوّل بأنّه هو الخبر المقدّم تمثّلت بقرينة معنويّة، أمّا الآيات الّتي سبقت من قبل كانت القرينة فيها جميعاً لفظية، تمثّلت بأن يكون المبتدأ تنتفي عنه صفة التّنكير، ومن هنا كان متأخّراً.

أمّا هذه الآية فقد تمثّلت القرينة بقرينة معنويّة،" فحسبنا "يصلح أن تكون هي الخبر، لأنّ المعنى يتوقّف عليها، فلا يمكن أن يكون الإخبار بلفظ الجلالة " الله "، بل إنّ الإخبار قد تحصّل بكلمة " حسبنا "، ومن هنا جعلت هي الخبر.

والقرينة المعنويّة هي الّتي تحدّد الخبر إذا كان كلّ من الرّكنين - المبتدأ والخبر – متساويين في التّعريف والتّنكير، فإن لم توجد هذه القرينة فحينئذ يكون المبتدأ متقدّماً وجوباً على خبره، وهو ما قد نوقش في مواضع سابقة في هذه الدّراسة.

---

[1]. سورة آل عمران. آية: 173.

[2]. الزمخشري. الكشّاف، ج: 1، ص: 440، وابن عاشور. التحرير والتنوير، ج: 4، ص: 169، والصابوني,محمد علي(1997م). صفوة التفاسير،دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع,القاهرة-مصر,الطبعة الاولى. ج: 1، ص: 222,الشعراوي ،تفسير الشعراوي ج3 ص1876

[3]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 2، ص: 111.

أمّا الدّلالة البلاغية فتتمثّل في تخصيص المسند بالمسند إليه، فالله هو الوحيد الكافي، وأنّ قوته هي الّتي تنصرهم ،والله حسبهم وكافيهم عن أيّ عدد من الأعداد، وأنّ الالتزام بأوامر الله ورسوله يعزّز الإحساس بالقوّة والغلبة[1].

وكذلك فثمّة معنى التّخويف للمقابل حين تخبره بأنّ الله هو حسبك ، فضلاً عن ازدراء الخلائق ؛اعتماداً على الخالق الملك المكلَّف بمصالح عباده، ولمّا كان في الوكلاء من يُذمّ ،قال:"ونعم الوكيل" أي نعم الموكول إليه ،و المفوّض إليه جميع الأمور.

روى البخاريّ في التّفسير عن ابن عبّاس -رضي الله عنهما - قال:هذه الكلمات قالها إبراهيم - عليه السّلام- حين ألقي في النّار ، وقالها محمد – صلّى الله عليه وسلّم- حين قالوا:إنّ النّاس قد جمعوا لكم"[2].

وفي نهاية هذا الجزء من الدّراسة تبيّن لنا أنّ الخبر يتقدّم في مواضع كثيرة في كتاب الله تعالى، وذلك لغرض بلاغيّ ، وقد تبيّن لنا من خلال الآيات الكريمة أنّ أغلب الأخبار الّتي تقدّمت جوازاً في كتاب الله تعالى تتمثّل بالأخبار الّتي من جنس شبه الجملة المتعلّقة بمحذوف خبر، وأغلبها أيضاً يكون تحديد المبتدأ والخبر فيها قائماً على قرينة لفظيّة لا على قرينة معنويّة.

والحكمة في تحديد الخبر من المبتدأ قائم على قرائن لفظيّة لا معنويّة؛ كي لا يكون الكلام الإلهيّ مستغلقاً على كثير من النّاس، بحيث لا يستطيعون فهمه، فالقرآن الكريم كتاب النّاس أجمعين، وهو دستور الإسلام، ومن هنا كانت معانيه تمتاز بالوضوح، كي يتبيّن للنّاس المراد من الآيات الكريمة.

9.2.1 حذف المبتدأ:

"الحذف ظاهرة لغويّة تشترك فيها اللّغات الإنسانيّة، وتبدو مظاهرها في بعض اللّغات أكثر وضوحاً، وثبات هذه الظّاهرة في العربيّة ووضوحها يفوق غيرها من اللّغات لما جُبِلت عليه العربيّة في خصائصها الأصليّة من الميل إلى الإيجاز "[1]".

---

1 . الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب،ج:5،ص:13 .

2.الزّجاج .معاني القرآن وإعرابه ،ج:1, ص:489 .

ومن الحذف في العربيّة قول القدماء : والله أفعل ذاك، يريدون : والله لا أفعل ذاك "[2]"، ويقول الجرجانيّ في الحذف : " هو بابٌ دقيقُ المَسْلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحْر، فإنّك ترى به تَرْكَ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذّكْرِ، والصّمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإِفادة، وتَجِدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إِذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تبن "[3]".

وللحذف بأنواعه في اللّغة العربيّة أسباب تدخل في النّواحي البلاغيّة للكلام، كثقل الاستعمال، وهو أكثر الأسباب شيوعاً وذيوعاً عند القدماء "[4]"، وطول الكلام، فابتعدوا عن طول الكلام بالحذف ، ومن أسباب الحذف أيضاً الضّرورة الشّعريّة، إضافة إلى الأسباب الصّرفيّة والصّوتيّة والتّركيبيّة "[5]".

ويأتي الحذف في اللّغة أيضاً لأغراض متعدّدة من أهمّها: التّخفيف، والإيجاز والاختصار في الكلام، والاتّساع، والتّفخيم والإعظام، وصيانة المحذوف عن الذّكر تشريفاً له، وتحقير شأن المحذوف، وقصد البيان بعد الإبهام، وقصد الإبهام، والجهل بالمحذوف، والعلم الواضح بالمحذوف، والخوف منه أو عليه، الإشعار بالقلّة، ورعاية الفاصلة أو المحافظة على السّجع، والمحافظة على الوزن في الشّعر "[6]".

وبعد هذه اللّمحة الموجزة عن الحذف، ننتقل لدراسته من ناحية بلاغيّة في سورة آل عمران.

---

1. حموده، طاهر سليمان(1998م).. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجماعية للطباعة,الاسكندرية-مصر,ص: 9.
2. ابن فارس، أبو الحسين أحمد (1910م). الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، القاهرة ــ مصر ، ص: 135، و السيوطي، جلال الدين (د.ت). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ــ مصر, ج: 2، ص: 331.
3. الجرجاني. دلائل الإعجاز، ج: 1، ص: 146.
4. سيبويه. الكتاب، ج: 2، ص: 130.
5. حموده طاهر. ظاهرة الحذف في الدّرس اللّغوي، ص: 28 ــ 90.
6. حموده طاهر. ظاهرة الحذف في الدّرس اللّغوي، ص: 91 ــ 107.

يحذف المبتدأ وجوباً في أربعة مواضع هي : " النّعت المقطوع إلى الرّفع، في مدح نحو: مررت بزيدٍ الكريمُ، أو ذمّ ، نحو: مررت بزيد الخبيثُ، أو ترحّم، نحـو : مررت بزيد المسكينُ، فالمبتدأ محذوف في هذه الأمثلة ونحوها وجوباً، والتّقدير: هو الكريم، هو الخبيث، هو المسكين، والثّاني: أن يكون الخبر مخصوص نعم أو بئس، نحو: نعم الرجلُ زيدٌ، وبئس الرجلُ عمرو، فزيد وعمرو خبران لمبتـدأ محـذوف وجوباً، والتّقدير هو زيد، أي الممدوح زيد، وهـو عمـرو، أي المـذموم عمـرو، والثّالث:ما حكى الفارسيّ من كلامهم " في ذمّتي لأفعلن "، "في ذمتي" خبر لمبتـدأ محذوف واجب الحذف، والتّقدير: في ذمّتي يمين، وكذلك ما أشبهها، وهو ما كـان الخبر فيه صريحاً في القسم، والرّابع: أن يكون الخبر مصدراً نائباً منـاب الفعـل، نحو: صبرٌ جميلٌ، والتّقدير: صبري صبرٌ جميل، ف "صبري" مبتدأ، و"صبر جميل" خبر، تم حذف المبتدأ الّذي هو" صبري "وجوباً "[1].

هذه الحالات الّتي يحذف فيها المبتدأ وجوباً، ولم نجد أيّاً منها في سـورة آل عمران، غير أننا وجدنا بعض المواضع التي يُحذف فيها المبتدأ جوازاً، حيث يحذف المبتدأ أو الخبر إن دلّ دليل على المحذوف"[2].

والآيات الّتي حُذف فيها المبتدأ جوازاً في سورة آل عمران هي قوله تعالى:﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (13) ﴾"[3].

---

[1]. ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج: 1، ص: 254 ـ 256، ابن السراج، أبو بكر محمد (د.ت). الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان ، ج: 1، ص: 68، و ابن جني، أبو الفتح عثمان (د.ت). اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت ص: 30، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (1993م). المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ، ص: 44، والسيوطي. همع الهوامع، ج: 1، ص: 390.

[2].ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج: 1، ص: 243.

[3]. سورة آل عمران، آية: 13.

فالخطاب هنا موجّه لكلّ من كانت حياته بعد الواقعة أكان مؤمناً أم كافراً، فالمؤمن تؤكّد له أنّ نصر الله آتٍ ولو من غير أسباب ، والكافر تأتي له الآية بالعبرة والعظة في أنّ الله يخذله ولو بالأسباب.

وكلمة فئة تدلّ على جماعة من النّاس لها حركة واحدة في عمل واحد لغاية واحدة، والحرب هي الّتي توحّد كلّ فئة في سبيل الحركة الواحدة والعمل الواحد للغاية الواحدة.

إذن فالآية على هذا المعنى توضّح لنا الآتي : لقد كان لكم آية، أي أمر عجيب جدّاً لا يسير ولا يتّفق مع منطق الأسباب الواقعيّة في فئتين، فعندما التقت الفئة المؤمنة في قتال مع الفئة الكافرة استطاعت الجماعة المؤمنة المحدّدة بالغاية الّتي تقاتل من أجلها -وهي القتال في سبيل الله- أن تنتصر على الفئة الكافرة الّتي تقاتل في سبيل الشّيطان.

يقول الأخفش في إعراب هذه الآية : "على الابتداء رفع كأنّه قال: إحداهما فئة تقاتل في سبيل الله، وقُرئت جرّاً على أوّل الكلام على البدل وذلك جائز "[1].

أمّا السّمين الحلبيّ فقد أورد الأوجه الّتي ارتفعت بها " فئة "، وهي " أحدها أن ترتفع على البدل من فاعل التقتا ... والثاني: أن يرتفع على خبر ابتداء، مضمر تقديره إحداهما فئة تقاتل .. والثّالث: أن يرتفع على الابتداء، وخبره مضمر تقديره منهما فئة تقاتل ... والرّابع: أن ينتصب على الاختصاص جوّزه الزّمخشريّ... والخامس: أن تنتصب فئة على الحال من فاعل " التقتا " كأنّه قيل التقتا مؤمنة وكافرة وعلى هذا يكون فئة وأخرى توطئة للحال "[2].

أمّا محييّ الدّين درويش فيقول: " فئة خبر لمبتدأ محذوف أي إحداهما فئة"[3] .

والغرض البلاغيّ من هذا الحذف ينقسم إلى قسمين، الأول : يختصّ بالاختصار، فبدل أن يذكر التّفصيل في الفئتين أورد الفئة مباشرة دون تفصيل، والثّاني: يتمثّل في العلم بالمحذوف، فقد ذكرت الآية أنّ للمؤمنين آية في فئتين التقتا،

---

[1]. الأخفش. معاني القرآن، ج: 1، ص: 210.

[2]. السمين الحلبي. الدر المصون، ج: 3، ص: 46.

[3]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 465 ـ 466.

فالسامع أو المتلقي يعلم من خلال سياق الكلام أنّ المحذوف هو إحدى هاتين الفئتين ، أي منهما مؤمنة لما يرشد إليه قوله:"تقاتل في سبيل الله لتكون كلمته هي العليا،(وأخرى) أي منهما(كافرة) تقاتل في سبيل الشّيطان، فالآية من الإحتباك ،وهو أن يؤتى بكلامين يحذف من كلّ منهما شيء إيجازاً يدلّ ما ذكر من كلّ على ما حذف من الآخر بمعنى أن يحذف من كلّ جملة شيء ويذكر في الجملة الأخرى ما يدلّ عليه فالله تعالى لم يورد لنا وصف الفئة الّتي تقاتل في سبيل الله، ولم يذكر أنّها فئة مؤمنة، وأوضح أنّ الفئة الأخرى كافرة ،وهذا يعني أنّ الفئة الّتي تقاتل في سبيل الله لا بدّ أن تكون فئة مؤمنة، ولم يورد الحقّ أنّ الفئة الكافرة تقاتل في سبيل الشّيطان اكتفاءً بأنّ كفرها لا بدّ أن يقودها إلى أن تقاتل في سبيل الشيطان.

لقد حذف الحقّ من وصف الفئة الأولى ما يدلّ عليه وصف الفئة الثّانية ، وعرفنا وصف الفئة الّتي تقاتل في سبيل الله من مقابلها في الآية وهي الفئة الأخرى. فمن هنا كان الحذف وهو أولى من الذّكر كي يتبين المعنى ويتّضح بأقلّ قدر من الكلام.

ومن وجهة أخرى قد تكون بلاغة الآية في نصر القليل على الكثير ، وتقليل الكفّار في أعين المسلمين.

وفي موضع آخر من المواضع الّتي حُذف فيها المبتدأ في سورة آل عمران يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّـهُ أَنَّـهُ لَـا إِلَـهَ إِلَّـا هُوَ وَالْمَلَائِكَـةُ وَأُولُـو الْعِلْـمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)﴾[1].

يبيّن السّمين الحلبيّ أنّ في هذه الآية الكريمة ثلاثة أوجه: " أولها: أنّه بدل من " هو "، والثّاني: أنّه خبر مبتدأ مضمر، والثّالث: أنّه نعت لـ " هو""[2].

أمّا محيي الدّين درويش فيقول : " العزيز خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، ولك أن تعربهما بدلين من " هو ""[3].

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 18.

[2]. السّمين الحلبي. الدّر المصون، ج: 3، ص: 82.

[3]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 474.

المعنى العام لهذه الآية هو إثبات الوحدانيّة لله تعالى، وذلك بأسلوب القصر المتمثّل بالنّفي والاستفهام ؛ ليدلّ دلالة قاطعة لا شكّ فيها على وحدانيّته، فالقصر بهذه الطّريقة – النّفي والاستفهام – من أبلغ طرق القصر وأعلاها؛ لذا نرى كثيراً من القضايا والبراهين في القرآن الكريم قد أثبتت بهذا الأسلوب،ناهيك عن أنّ المقصور والمقصور عليه فيه يبدو جليّاً واضحاً لا لبس فيه.

ويتّضح مما سبق ما عليه التّركيب النّحوي لهذه الآية الكريمة، من حيث إنّ المبتدأ محذوف جوازاً، وحكمنا عليه بالجواز لأنّه لا يدخل ضمن دائرة الحذف الوجوبيّ للمبتدأ، أمّا الخبر فهو مذكور ، غير أنّنا نلاحظ أنّ الخبر معرفة، إذن فالخبر قد جاء على غير العادة من أن يكون نكرة.

أمّا من الجانب البلاغيّ ،فنجد أنّ المبتدأ لم يحذف دون سبب، وإنّما لغرض بلاغيّ،فلو كانت الآية دون حذف لكان الأمر على هذا النّحو لا إله إلا هو وهو العزيز الحكيم، وهذا التّركيب ليس مألوفاً في العربيّة، فالغرض من حذف المبتدأ هو غرض تركيبيّ إضافة إلى أنّه في حذف المبتدأ اختصار في الكلام، وهو غرض ثانٍ من الأغراض التي حُذف فيها المبتدأ في هذه الآية الكريمة.

أمّا الآية الثّالثة فهي قوله تعالى : لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197) [1].أي لا يعبأ به ذو همّة عالية ، وقد عبّر بأداة التّراخي إشارة إلى أنّ متعتهم وإن طالت ،تافهة لزوالها وهول عاقبتها وتناهي عظمتها.

يقول الزّمخشريّ: " متاعٌ "خبر لمبتدأ محذوف "[2]،و ذكر البيضاويّ أنّ الأمر على ذلك إذ قال: " متاعٌ" خبر لمبتدأ محذوف "ويقول مكّي:"متاع قليل"رفعه على إضمار مبتدأ،أي هو متاع ،أو ذلك متاع "[3].

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 197.

[2]. الزمخشري. الكشاف، ج: 1، ص: 457.

[3]. البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج:2، ص: . درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 2، ص: 144. ومكي.مشكل إعراب القران ج:1،ص184

ومن هذه الأقوال نلحظ الحالة التركيبيّة الّتي تظهر عليها الجملة في الآية الكريمة، حيث حُذف فيها المبتدأ وبقي الخبر، وقد جاء الخبر موصوفاً، وفي هذا التّركيب حُذف المبتدأ جوازاً لا وجوباً، ذلك أنّ هذه الحالة لا تدخل في إطار الحالات الّتي يُحذف فيها المبتدأ وجوباً.

أمّا الغرض البلاغيّ الّذي وُجد لأجله هذا الحذف، فهو يعتمد في الأساس على الاختصار والتّحقير وإقلال الشّأن، فالسّامع أو المتلقّي معلوم لديه هذا المتاع القليل ما هو وما قيمته وذلك من خلال نصّ الآية الكريمة وسياقها الكريم، فمن هنا كان الحذف أبلغ من الذّكر.

وبعد أن عرضنا لهذه الحالات التي يُحذف فيها المبتدأ في القرآن الكريم، لاسيّما في سورة آل عمران بصفتها سورة تطبيقيّة على هذه الدّراسة، اتّضح لنا أنّ الآيات الّتي يُحذف فيها المبتدأ في كتاب الله تعالى قليلة جدّاً، إذ كانت ثلاثة مواضع، وهي قليلة جدّاً إذا ما قُورِنت بطول سورة آل عمران الّتي تزيد على جزء من كتاب الله تعالى.

10.2.1 حذف الخبر:

يحذف الخبر وجوباً في حالات أربعة هي: " أوّلاً: أن يكون خبراً لمبتدأ بعد لولا، نحو: لولا زيدٌ لأتيتك، والتّقدير: لولا زيد موجود لأتيتك، ثانياً: أن يكون المبتدأ نصّاً في اليمين، نحو: لعمرك لأفعلن، والتّقدير: لعمرك قسمي، فعمرك مبتدأ، و"قسمي" خبره ولا يجوز التّصريح به، الثّالث: أن يقع بعد المبتدأ واو هي نصّ في المعيّة، نحو: كلّ رجل وضيعته، "فكل" مبتدأ، وقوله: "وضيعته" معطوف على كلّ، والخبر محذوف، والتّقدير كلّ رجل وضيعته مقترنان، ويقدّر الخبر بعد واو المعيّة، الرّابع: أن يكون المبتدأ مصدراً، وبعده حال سدّت مسدّ الخبر، وهي لا تصلح أن تكون خبراً، فيحذف الخبر وجوباً؛ لسدّ الحال مسدّه، وذلك نحو: ضربي العبدَ مسيئاً، فضربي مبتدأ، والعبد معمول له، ومسيئاً حال سدّ مسدّ الخبر، والخبر محذوف وجوباً، والتّقدير ضربي العبد إذا كان مسيئاً، إذا أردت الاستقبال، وإن أردت المضيّ، فالتّقدير: ضربي العبد إذ كان مسيئاً، فمسيئاً حال من الضّمير المستتر في

كان المفسر بالعبد، "وإذا كان، أو إذ كان ظرف زمان نائب عن الخبر "[1]، أمّا الحذف الجوازيّ فلنّا نعلم أنّه إذا دلّ دليل على المبتدأ أو الخبر ،فإنّه يجوز حذفه "[2].

ومن خلال بحثنا في سورة آل عمران في كتب التّفسير وأعاريب القرآن ، فإنّنا لم نجد آية أو موضعاً حُذف فيه الخبر وجوباً أو جوازاً، وهذا في حدود علمنا، ويقودنا ذلك إلى أنّ التّركيبات النّحوية في القرآن الكريم لا تحوي حذفاً للخبر بشكل كبير، وإذا احتوى القرآن بأسره على مواضع حُذف فيها الخبر، فهي بلا شكّ مواضع قليلة جدّاً دلّنا على ذلك أنّها ليست واردة في سورة آل عمران، وهي من السّبع الطّوال كما نعلم.

وفي نهاية هذا الجزء من الدّراسة ،يتّضح لنا أنّ القرآن الكريم في حديثه عن المرفوعات من جانب التّركيب قد احتوى على التّراكيب الشّائعة في اللّغة للمرفوعات، خاصّةً في جانب المبتدأ والخبر، وقد ابتعد الأسلوب القرآنيّ عن الحذف سواء أكان هذا الحذف واجباً أم جائزاً ، واستوى في هذا الحكم المبتدأ والخبر، إلاّ أنّ المبتدأ قد وردت له أمثلة على الحذف، في حين أن الخبر لم نجد له أمثلة في سورة آل عمران.

ويظهر لنا من خلال الدّراسة الّتي قدّمناها في الصّفحات الماضية أنّ الأسلوب القرآنيّ قد احتوى على آيات كريمة في نواحي الابتداء والخبر، أي بعبارة أخرى بالجملة الاسميّة، وكان في أغلب ورودها في خواتيم الآيات الكريمة، وهو نوع من التّأكيد على معنى الآية ككلّ، أتى به الله عزّ وجلّ لدلالة الجملة الاسميّة على الدّوام والاستمراريّة.

أمّا في نواحي تركيب التّقديم والتّأخير، فقد برز لنا من خلال الدّراسة أنّ القرآن الكريم بأسلوبه المعجز قد احتوى على عدد لا بأس به من الآيات الّتي تقدّم فيها الخبر على المبتدأ، والخبر على المبتدأ ، إذ احتوى كثيراً من الآيات الّتي تقدّم

---

[1]. العكبري,ابو البقاء عبدالله بن الحسين(1995). اللباب في علل البناء والإعراب،تحقيق عبدالاله النبهان, دارالفكر,دمشق-سوريا الطبعة الاولى ج: 1، ص: 139.

[2]. ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج: 1، ص: 243.

فيها المبتدأ على الخبر، وقد جاءت هذه الأمثلة حيناً على التّقدم الوجــوبي للعنــصر الإسناديّ، وأخرى على التّقدم الجوازيّ للعنصر الإسناديّ، وأكثر هذه الحالات على الإطلاق تمثّلت في تقدّم المبتدأ على الخبر جوازاً، وهي الحالة الطبيعيّة الّتي يــأتي عليها تركيب الجملة الاسميّة في اللّغة العربيّة، ومن هنا كان ورودهــا أكثــر مــن غيرها من الحالات في كتاب الله تعالى.

الفصل الثاني

النّواسخ

وسيكون الحديث هنا عن النّواسخ الفعليّة والحرفيّة،إذ يأتي مع كلّ ناسخ من هذه النّواسخ اسم مرتفع، فهو مع " كان " وأخواتها اسمها المرفوع، ومع " إنّ " وأخواتها خبرها، و سيكون الحديث عن هذه الأسماء المرفوعة مع نواسخها، من ناحية تركيبيّة وأخرى بلاغيّة تعتمد في مجملها على المعنى العام للسّياق القرآنيّ.

1.2 معنى النّاسخ لغة واصطلاحاً:

يذكر صاحب اللّسان من معاني " النسخ " :أنّه بمعنى التّبديل وإحلال شيء مكان شيء، حيث يقول : " والنَّسْخإِبطال الشَّيْءِ وإِقامة آخَرَ مَقَامَهُ؛ وَفِي التَّنْزِيلِ : مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها "[1].

ويوضّح عبّاس حسن معنى النّاسخ من خلال أدلّة وأمثلة من اللّغة، إذ يبيّن أن الجملة الإسميّة أصلها أن يكون فيها المبتدأ متقدّماً وله الصّدارة في الجملة، ولكن حين تدخله بعض الأفعال والحروف ، فإنّه يصبح اسماً لذلك النّاسخ، وهذه النّواسخ الّتي تدخل على الجملة الإسميّة أفعال وحروف، أمّا الأفعال فكان وأخواتها، وظنّ وأخواتها، وأمّا الحروف، فإنّ وأخواتها، وهي تغيّر في حركة المبتدأ والخبر، فكان وأخواتها تنصب الخبر ، أمّا " إنّ " وأخواتها ،فتنصب المبتدأ، في حين أنّ " ظنّ " وأخواتها تنصب الركنين معاً، أي المبتدأ والخبر، ويصيران مفعولين لهذه النّواسخ الفعليّة، وكذلك فإنّها تنسخ المعنى ؛ومن هنا سمّيت هذه الأفعال والأحرف نواسخ[2].

---

[1]. ابن منظور,ابو الفضل محمد ىبن مكرك(1414ه).لسان العرب، دار صادر,بيروت-لبنان,الطبعة الثالثة,ج: 3، ص: 61.

[2]. حسن,عباس. النّحو الوافي،دار المعارف,بيروت-لبنان,الطبعة الخامسة عشرة. ج: 1، ص: 543.

2.2 " كان " وأخواتها:

تدخل كان " و أخواتها على الجملة الإسميّة، فترفع المبتدأ ويسمّى اسمها، وتنصب الخبر ويسمّى خبرها.

ومجموعة الأفعال الدّاخلة في إطار " كان " وأخواتها كلّها ناقصة، وقد تأتي بعضها تامّة حيناً وناقصة حيناً آخر، وهذه الأفعال هي : كان، وأصبح، وصار، وظلّ، وبات، وأضحى، وأمسى، وما زال، وما برح، وما فتئ، وما انفكّ، وما دام، وليس"[1].

و"كان" وأخواتها منها ما يعمل دون شرط أو قيد، وهي : كان، وظلّ، وبات، وأضحى، وأصبح، وأمسى، وصار، وليس.

ومنها ما يعمل بشروط، وهي تنقسم أيضا إلى قسمين : قسم يُشترط في عمله أن يسبقه نفي لفظاً أو تقديراً، أو شبه النّفي، وهي أربعة: زال، وبرح، وفتئ، وانفكّ. وقسم يُشترط في عمله أن يسبقه ما المصدريّة الظرفيّة، وهو دام، في قولك : أعطِ ما دمْتَ مصيباً درهماً، أي أعطِ مدّة دوامك مصيباً درهماً"[2].

والآن ننتقل للحديث عن المواضع التي وردت في سورة آل عمران وتحوي إمّا " كان، " وإمّا إحدى أخواتها، وقد وجدنا في سورة آل عمران ثلاثة وخمسين موضعاً وردت فيه " كان " أو إحدى أخواتها، كان نصيب " كان " من بينها ستة وأربعين موضعاً، في حين وردت " ليس " ستّ مرّات، ووردت " ما دام " مرّة واحدة، في حين لم ترد أيّ من أخوات" كان" الأخرى .

و " كان " أكثر هذه الأفعال النّاقصة وروداً، ومن هنا ربمّا كان تسمية بابها بباب " كان " وأخواتها، وهذا يعني أنّها كانت ذات اتّصال وثيق بالاستعمالات اللّغوية المختلفة، فكان من الطّبيعي أن يأتي اسم الباب باسمها، فحضورها بارز في سورة آل عمران.

---

[1]. ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، ج: 1، ص: 261، والسّيوطي,جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ج: 1، ص: 408.

[2]. ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، ج: 1، ص: 263 ــ 267.

وقد أتى اسم "كان" وأخواتها على أحوال أربعة في هذه السّورة، هي: إتيان اسم " كان وأخواتها اسماً مفرداً ظاهراً، والثّاني: ضميراً متّصلاً، والثّالث: ضميراً مستتراً، وأخيراً أن يأتي الاسم متأخّراً عن خبر " كان " وأخواتها، وفيما يأتي سنعرض لكلّ من هذه الأقسام الأربعة ،ونسوق عليها الأمثلة من سورة آل عمران، وهي هذا النّحو:

اسم " كان " وأخواتها اسماً ظاهراً:

وهذه الحالة هي أكثر الحالات حضوراً في السورة ، إذ يقول الله تعالى : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68)﴾[1].

فاسم كان هو " إبراهيم " وهو المرفوع المقصود بالدّرس، حيث جاء اسماً ظاهراً، وهو في حالة الإفراد، في حين أنّ الخبر ﴿يَهُودِيًّا ﴾، وجاءت ﴿كَانَ﴾ منفيّة في هذا الموضع "[2].

وقد نزلت هذه الآية في اليهود الذين زعموا أنّ إبراهيم كان يهوديّاً، أما النّصارى فزعموا أنّ إبراهيم كان نصرانيّاً، فردّ الله عليهم بأن قال : إنّ إبراهيم ما كان يهوديّاً ولا نصرانيّاً، والحجّة عليهم في ذلك أنّ التّوراة والإنجيل نزلا بعد إبراهيم عليه السّلام، فكيف يكون إذن يهوديّاً أو نصرانيّاً"[3].

لقد كان هذا الموضع من كتاب الله تعالى يعالج موضوعاً عقديّاً يتمثّل بتبعيّة سيّدنا إبراهيم - عليه السّلام - الدينيّة، حيث ذكر الله تعالى لنا الاختلاف بين اليهود والنّصارى في معتقد إبراهيم عليه السّلام، غير أنّ الله تعالى في الآية الكريمة قد

---

1. سورة آل عمران، آية: 67.
2. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 530 ــ 531.
3. الفرّاء,ابو زكريا يحي بن زياد. معاني القرآن،تحقيق:احمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبدالفتاح اسماعيل الشلبي,دار المصرية للتأليف والترجمة,القاهرة,مصر,ط1 ج: 1، ص: 221، والنّحاس. إعراب القرآن، ج: 1، ص: 164، والعسقلاني,ابن حجر ابوالفضل احمد بن علي. العجاب في بيان الأسباب، تحقيق:عبدالحكيم بن انيس, دار ابن الجوزي للطباعة والنشر والتوزيع.ج: 2، ص: 689.

فصّل هذا الاختلاف بأن نفى عن إبراهيم اليهوديّة والنّصرانيّة، وأثبت أنّه حنيفٌ مسلم، وكان نفي هذا الأمر نابعاً من نفي ﴿كَانَ﴾ الّتي دخلت على الجملة.

وقد ناسبت الآية الكريمة أن تكون ﴿كَانَ﴾ ماضية، ولم تكن مضارعة منفيّة بـ " لم "، وذلك أنّ إبراهيم عليه السّلام سبق القرآن الكريم، ومن هنا كان استعمال ﴿كَانَ﴾ الماضية أولى من استعمالها مضارعة.

والآية الكريمة أفادت الاستدراكفبعد أن نفت عن إبراهيم اليهوديّة والنّصرانيّة؛ لكونه متقدّماً عليهما في الزّمن ،حصرت حال إبراهيم فيما يوافق أصول الإسلام المراد به الانقياد لله تعالى وليس ملّة الإسلام ؛ لذلك بيّن أنّه كان حنيفاً بقوله "مسلماً"؛لأنّهم يعرفون معنى الحنيفيّة ولا يؤمنون بالإسلام ، فأعلمهم أنّ الإسلام هو الحنيفيّة، وهذا **القصر قصر قلب**.

يقول الله تعالى في موضع آخر من سورة آل عمران على لسان زوجة عمران وقد وضعت حملها : **﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** (36) ﴾[1].

ففي الآية الكريمة أتت ﴿لَيْسَ﴾ وهي إحدى أخوات "كان"، وجاء اسمها بعدها مرفوعاً، وهو اسم ظاهر صريح، و إعراب هذا الجزء من الآية الكريمة : " الواو عاطفة ، و"ليس" فعل ماض ناقص، و ﴿الذَّكَرُ﴾ اسمها ، و"الجارّ والمجرور" متعلّقان بمحذوف خبر، أو "الكاف" اسميّة وهي الخبر، و﴿الْأُنْثَى﴾ مضاف إليه "[2].

وقد كان هذا الكلام على لسان أمّ مريم عليها السّلامقالتِ : ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾لأمرين: الأوّل: أن الذّكور كانوا يحرّرون، في حين أنّ النّساء لم يكنّ يحرّرن، ومن هنا قالت :وليس الذّكر كالأنثى "[3]، أمّا الثّاني : فيتمثّل بأنّه لا يجوز أن تقوم على الأماكن المقدّسة من تحيض "[4].

---

1. سورة آل عمران، آية: 36.
2. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 497.
3. النّحاس. معاني القرآن، ج: 1، ص: 153، والنّحاس. إعراب القرآن، ج: 1، ص: 387.
4. السّيوطي,جلال الدين(1981م). الإكليل في استنباط التّنزيل،تحقيق:سيف الدين الكاتب,دار الكتب العلمية,بيروت-لبنان. ص: 68.

وقد استعمل الأسلوب القرآنيّ النّفي بـ " ليس "، وهي تتضمّن معاني أكثر مما تتضمّنه أي أداة نفيّ، من مثل " ما "، أو " لا "، فهي تحمل معنى الفعليّة المتمثّلة بأنّها فعل ناقص جامد، بالإضافة إلى أنّها تعمل في الكلام.

وقد جاء اسم " ليس " وخبرها في الجملة على النّسق المعتاد، أي أنّه لم يتقدّم الخبر على المبتدأ، وهذا يدلّ على الاهتمام بالمبتدأ، فالعرب تقدّم ما تراه مستحقّاً للاهتمام، فقدّمت الآية لفظ " الذّكر " على الأنثى، رغم أنّ الذّكر في واقع الأمر ليس موجوداً، فكان من الممكن أن تقول: " وليست الأنثى كالذّكر " على أساس أنّ المولود الّذي بين يديها أنثى، غير أنّها قدّمت الذّكر على الأنثى ؛ لأنّها ترى أنّ الذّكر أفضل من الأنثى في خدمة بيت الله ، وذلك للسّببين اللّذين ذكرناهما، ولأنّه هو المنتظر ، فهو أسبق إلى لفظ المتكلّم فهذا التّقديم فيه بلاغة أكثر مما نجده في قولنا : وليست الأنثى كالذّكر.

وهناك بعض التّفاسير تقول : ليس الذّكر كالأنثى الّتي ولدت [1]، بمعنى أنّ هذه الأنثى تفوق كثيراً من الذّكور، ولكنّي أستبعد هذا التأويل ؛ لأنّ سياق الآيات يبيّن أنّها كانت متحسّرة على ولادة الأنثى ، وذلك من خلال قولها :"وإنّي وضعتها أنثى"، فالخبر هنا يراد منه التّحسّر، فكيف يكون مقصدها في تلك اللّحظة أنّ هذه الأنثى أفضل من الذّكور؟.

وقد ورد في سورة آل عمران آيات أخرى تتضمّن هذا النّمط التركيبيّ لاسم " كان " أو إحدى أخواتها، غير أنّنا نكتفي بهذا القدر من الأمثلة ؛ لعدم التّكرار في المعاني "[2].

مجيء اسم " كان " ضميراً متصلاً:

وهذه الحالة التركيبيّة هي أكثر الحالات شيوعاً في الاستعمالات اللّغوية لـ " كان"، إذ إنّ أغلب الآيات التي تضمّنت واحداً من الأفعال النّاقصة كان اسمه ضميراً متّصلاً، وهو ضمير رفع، لذا سندرسه في هذا الجزء .

1 .الشعراوي,تفسير الشعراوي-خواطر,ج:3,ص:1437.
2.سورة آل عمران، آية: 147، و 179.

يقول الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) ﴾[1].

فالآية الكريمة تتضمّن فعلاً ناقصاً هو " كان "، اتّصل به ضمير الجماعة الواو، وهو ضمير رفع وقع في محلّ رفع اسم كان، يقول درويش : " وجملة ﴿كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾صلة الموصول ،وكان واسمها وجملة يفترون خبرها "[2].

لقد نزلت الآية الكريمة في اليهود الذين زعموا أنّ النّار لن تمسهم إلاّ أيّاماً معدودة، فجاء القرآن الكريم بقوله إنّ هذا الزّعم والافتراء هو سبب غرورهم في دينهم، والافتراء أعظم الكذب"[3].

ويتّضح من الآية الكريمة أنّ الله تعالى قد جعل الافتراء الذي هو حاصل من اليهود مقترناً بـــ " كان "، والدّلالة الّتي أفادتها " كان " في هذا النّص القرآنيّ تمثّلت بأنّ اليهود منذ ماضيهم يفترون، وأنّهم مستمرّون في هذا الافتراء والغرور، وهو ما أضافوه للدّين ، ومن أكبر أكاذيبهم أن النّار لن تمسّهم إلاّ أيّامــاً قليلــة ، وبعــدها سيدخلون الجنّة؛ فلو كانت الآية " وغرّهم ما يفترون "، لدلّت على أنّ افتراءهم فـــي الوقت الحاضر المخصوص بزمان الآية، دون أن تشتمل على الزّمن الماضي، فلمّا أُدخِلت " كان"على التّركيب أفاد ذلك شموليّة الزّمان في حدث الافتراء، والافتراء - كما نعلم- أمر مرتبط باليهود منذ زمان نبيّ الله موسى عليه السّلام.

ومن ناحية أخرى، فإنّ بعض المخالفات الدّينيّة إذا كانت ناتجة عن ضــعف، أو نزوة عابرة ؛ لضعف النّفس البشرية وطبيعتها ، فإنّ التّوبة منها مأمولة ، أمّا إذا

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 24.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 484، صافي,محمود بن عبدالرحيم(1418ه). الجدول في إعراب القرآن الكريم،دار الرشيد,دمشق-سوريا,ودار الايمان,بيروت-لبنان.الطبعة الرابعة, ج: 3، ص: 143.

[3]. ابن قتيبة,أبومحمد عبدالله بن مسلم(1978م). غريب القرآن، تحقيق:احمد صقر, دار الكتب العلمية,بيروت-لبنان. ص: 103ن, والعاني,عبدالقادر بن ملا(1965م). بيان المعاني، مطبعة الترقي,دمشق-سوريا,الطبعة الاولى, ج: 5، ص: 328.

كانت ناتجة عن تكبّر وغرور ومعتقدلا أمل في الرّجوع عنها، وهذا ما هو مستقرّ في نفوس اليهود الذي لا رجعة عنه.

وقد أشار الله تعالى في بداية الآية باسم الإشارة الدّال على البعد؛ ليبيّن عمق هذا المعتقد في قلوبهم وعقولهم منذ نشأتهم، فهم قاموا بعبادة العجل بسبب زعمهم أنّ النّار لن تمسّهم إلاّ أيّاماً معدودة وهي الّتي قضوها في عبادة العجل،وأنّهم شعب الله المختار الّذي لا يغضب عليه.

أمّا مجيء اسم " كان " ضميراً متّصلاً ،فهو لا بديل عنه، إذ يمثّل العائد إلى اليهود، ولو تبادر إلى الذّهن هل من الممكن أن يأتي اسماً ظاهراً ؟ لكان الأمر من الصّعوبة بمكان، إذ إنّ كلمة " غرّهم " ذات ارتباط وثيق بكلمة " كان " في السّياق القرآنيّ المخصوص، ومن هنا كان مجيء الضّمير على صورة مرتبطة بالضّمير الغائب في " غرّهم "، وهو أمر لا بديل عنه في اسم " كان " في هذه الآية الكريمة.

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) ﴾[1].

وقد اخترنا هذا المثال من بين الأمثلة العديدة التي وردت على هذه الحالة لاسم " كان " لأنّ الفعل النّاقص فيها هو ﴿مَادام﴾، وهو أمر قليل التّكرار في هذه السّورة، فاسم ﴿مَا دام﴾ ضمير الرّفع المتّصل للمخاطب المذكّر، وتبعه خبر ﴿مَا دام﴾اسماً ظاهراً وهو ﴿قَائِمًا ﴾ يقول درويش : " إلاّ أداة حصر، و ﴿مَا دُمْتَ ﴾ فعل ماض ناقص، و "التّاء" اسمها، و﴿قَائِمًا﴾خبرها، و "عليه" جارّ ومجرور متعلّقان بـ ﴿قَائِمًا ﴾[2].

ففي الآية الكريمة يبيّن الله تعالى أنّ اليهود على قسمين في أمانتهم: فمنهم من لو أمنته على شيء ك ثير قد يكون مناط إغراء له، فإنّه يؤدّي هذه الأمانة إلى الّذي ائتمنه، ومنهم من هو على العكس تماماً، فلو أمنه أحد على شيء قليل، فإنّه لا يؤدّي

[1]. سورة آل عمران، آية: 75.
[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 540.

هذا الشّيء له إلاّ والمؤتمن دائم الإصرار عليه، والباء في ﴿بِقِنْطَارٍ ﴾، و﴿ بِدِينَارٍ﴾ بمعنى " على"[1].

ومن الآية الكريمة نلحظ أنّ استعمال الأسلوب القرآنيّ للفعل النّاقص " ما دام " جاء في مكانه، فهو يدلّ على الدّيمومة والاستمرار في طلب ما ائتمن المؤتمِن، ومن هنا كان استعمال هذا الفعل النّاقص أبلغ من استعمال غيره، في حين أنّ اسم " ما دامهنّا جاء متناسباً مع السّياق ا لسّابق له، فالآية تتحدّث عن بعض أهل الكتاب في كلتا الحالتين، وهذا الحديث كان على سبيل الخطاب، فناسب أن يكون اسم " ما دام " ضميراً متّصلاً للمفرد المخاطب المذكّر.

وقد يكون الجانب البلاغيّ في استعمال ضمير المخاطب ؛ لتوجيه التّحذير لكلّ البشر، ولكلّ من يقرألقرآن الكريم سواء أكان مسلما أم لا من غدر اليهود وخيانتهم، والتعامل معهم. فهم معرفون بأطباعهم الدنيئة منذ قدم الزمان.

أمّا تقديم المجرور على متعلّقه في قوله :"عليه قائماً"، فهو للاهتمام بمعنى المجرور، ففي تقديمه معنى الإلحاح ،أي إذا لم يكن قيامك عليه لا يرجع لك أمانتك.

وهناك مواضع عديدة في سورة آل عمران تحوي أمثلة على هذا التّركيب اللّغوي، لا حاجة لنا بذكرها جميعاً[2].

اسم " كان " وأخواتها ضميراً مستتراً:

ويتمثّل هذا القسم بأن يكون اسم " كان " وأخواتها مستتراً، وسنقوم ببيان النّواحي التركيبيّة والبلاغيّة في الأمثلة التي سنعرضها إن شاء الله تعالى.

يقول سبحانه وتعالى في محكم التّنزيل: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [3].

---

[1]. الأخفش. معاني القرآن، ج: 1، ص: 224، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (2000م). جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى ،ج: 6، ص: 519، والماوردي,أبو الحسن علي بن محمد. النّكت والعيون،تحقيق:السيّد بن عبدالمقصود ، دار الكتب العلمية, بيروت-لبنان. ج: 1، ص: 402.

[2]. سورة آل عمران، آية: 31، 44، 49، 55، 79، 93.

[3]. سورة آل عمران، آية: 49.

فالخبر في هذه الآية هو " طَيْرًا "، و اسم " كان " مستتر، يقــول درويــش : ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ "الفاء"عاطفة ، و "يكون" فعل مضارع نــاقص معطــوف على أخلق، و "طيراً" خبر يكون، و"اسمها" مستتر ،و"بإذن الله" متعلّقــان ب "يكــون" على رأي من يجيز تعلّق الجارّ والمجرور والظّرف بالأفعال النّاقصة أو بمحــذوف حال، والأوّل أقرب الى المعنى "[1].

و هذه الجملة على لسان عيسى عليه السّلام، وقد أضاف المــشـ ـيئة إلـــى الله تعالى حين قال :" فيكون طيراً بإذن الله "، فالمسألة إذن لا تكون إلاّ بإذنه تعالى، وفي الموضع السّابق لهذا الموضع فإنّ سيّدنا عيسى - عليه السّلام - لم يقل " بإذن الله "، حيث قال الله تعالى على لسان عيسى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49) ﴾[2]، فهذه الأفعال إنّما جاءت دون أن يقــول عيسى " بإذن الله "، فكان مجيئها على أساس أنّ مثل هذه الأفعال في ظاهرها مــن أفعال البشر، فلذلك كان من الأولى أن تـ ـأتي دون ذكر لمشيئة الله، ولكن حين تحدّث سيّدنا عيسى -عليه السّلام- في الموضع التّالي عن صيرورة الطّير إلى طير حقيقيّ ، ربط ذلك بأمر الله، فالله تعالى هو المعنيّ بأمر الرّوح وسريانها في الجسد، ولا لأحد من البشر يد في أمر الرّوح"[3].

وقد كان من الأبلغ أن يكون ا سم " كان " مستتراً في هذا الموضع من كتــاب الله العزيز، فقد سبق ذكر " الطّير " في الموضع السّابق لهذا الموضع، ومن هنا كان

---

[1]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 515، النّحاس. إعراب القرآن، ج: 1، ص: 160.

[2]. سورة آل عمران، آية: 49.

[3]. الخطيب الإسكافي,أبوعبدالله محمد بن عبدالله(2001م).درّة التّنزيل وغرّة التّأويل،تحقيق محمد مصطفى آيدين,جامعة أم القرى,مكة المكرمة-السعودية,الطبعة الاولى. ج: 1، ص: 155، والفيروز آبادي,أبوطاهر محمد بن يعقوب(1996م). بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق:محمد علي النجار,المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية,لجنة إحياء التراث الإسلاميّة,القاهرة-مصر.ج: 1، ص: 163.

الضّمير عائداً إلى ما قد سبق ذكره، ولو أنّ الأسلوب القرآني ذكر الطّير مرة أخرى لتصبح الآية " فيكون الطّيرُ طيراً "لكان ذلك من باب التّ كرار غير المحمود، فجاء الأسلوب القرآنيّ على هذا النّحو.

وقد يكون الجانب البلاغيّ في الاستتار هنا للوصول إلى الخبــر مباشــرة ، كونه هو المنتظر سماعه، وهو المعجزة الّتي يرغب بمعرفتها كثير من الناس.

وفي موضع آخر يقول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67)﴾[1].

إنّ خبر "كان" في الآية الكريمة هو ﴿ حَنِيفًا ﴾، في حين أنّ اســم " كــان " ضميرٌ مستترٌ عائدٌ إلى لفظ ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾عليه السّلام، إذ يقول درويش : ﴿وَلَكِنْ كَــانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ ، " الواو "عاطفة، و"لكن "مخفّفة مهملة ،و "كان"فعل ماض نــاقص ، واسمها "هو"، و"حنيفاً" خبرها الأول ، و ﴿مُسْلِمًا﴾ خبر ثانٍ "[2].

وقد كان المعنى في هذا الجزء من الآية الكريمة إثبات صفة الحنفيّة والإسلام لسيّدنا إبراهيم عليه السّلام، وهذاالإثبات جاء بعد نفي اليهوديّة والنّصرانيّة عنــه[3]، ولابن عطيّة في هذه الآية كلام لطيف يبيّ ن مدى الفصاحة الّتي تحتويها الآية، حيث يقول: " أخبر الله تعالى في هذه الآية، عن حقيقة أمر إبراهيم، فنفى عنه اليهوديّــة والنّصرانيّة والإشراك الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في ذلك الإشراك الذي تتضمّنه اليهوديّة والنّصرانيّة، وجاء ترتيب النّفي على غاية الفصاحة، نفى نفس الملل وقرّر الحالة الحسنة، ثم نفى نفياً بيّن به أن تلك الملل فيها هذا الفساد الذي هــو الــشّرك، وهذا كأن تقول: ما أخذت لك مالاً بل حفظته، وما كنت سارقاً، فنفيت أقبح ما يكون في الأخذ "[4].

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 67.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 531.

[3]. الطّبري, جامع البيان،ج: 3، ص: 89، والبغويّ. تفسير البغويّ، ج: 3،ص: 418.

[4]. ابن عطيّة. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ), المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .المحقق: عبد السلام

فالآية الكريمة اتّصفت بأنّها تأخذ طابع حسن التّقسيم، حيث بدأ الله تعالى بنفي اليهوديّة والنّصرانيّة عن إبراهيم، ثمّ أثبت الإسلام له، ثم جاء بالدّليل على نفي النّصرانيّة واليهوديّة عنه، ومن هنا فإنّ الآية قد اشتملت على معالم فصاحيّة وبلاغيّة متمثّلة بحسن التّقسيم . إضافة إلى أنّ الأسلوب القرآنيّ لم يكرّر لفظ " إبراهيم " مرّة ثانية في الجملة الّتي حُذف فيها اسم " كان "، وهذا أيضاً فيه ابتعاد عن التّكرار المذموم، فلو كُرّر لفظ " إبراهيم " مرّة أخرى في الآية الكريمة ،لأوجد شيئاً من التّعف في تركيب السّياق، ومن هنا كان حذف اسم " كان " أولى من ذكره.

وبعد أن عرضنا لمثال من سورة آل عمران على حالة استتار اسم " كان " وأخواتها في سورة آل عمران، نشير هنا إلى أنّ السّورة تحوي أيضاً مواضع أخرى استتر فيها اسم " كان " وأخواتها، ولكنّنا نكتفي بهذا القدر من الأمثلة"[1].

تقديم خبر " كان " وأخواتها على اسمها:

وفي هذا الجزء من الدّراسة سنعرض للحديث عن تقدّم خبر " كان " وأخواتها على اسمها في سورة آل عمران،إذ يقول سبحانه وتعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (13)﴾[2].

ففي الآية الكريمة تقديم لخبر " كان " وهو " لكم " الجار والمجرور على اسمها، وهو " آية"،حيث يقول درويش "﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴾ ، و"قد" حرف تحقيق، و "كان" فعل ماض ناقص ،و "لكم" جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر كان المقدّم ، و"آية" اسمها المؤخّر "[3].

عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى(1422 هـ)،ج: 1، ص: 451.

[1]. سورة آل عمران، آية: 67، 93، 95، 97، 110، وغيرها من المواضع.

[2]. سورة آل عمران، آية: 13.

[3]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج : 1، ص: 465.والعكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (د.ت) التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه,ج: 1، ص: 242.

وقد ذكر الفرّاء في معانيه أنّ المعنيّ في الآية الكريمة النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - وأصحابه الكرام، حيث يقول: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آَيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾، يعنى النّبي - صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم -، والمشركين يوم بدر "[1].

أمّا الرّازي فقد ذكر أنّ الآية الكريمة إمّا أن تكون قد نزلت في يهود المدينة الّذين لمّا رأوا رسول الله قد انتصر في بدر قالوا: والله هذا هو النّبيّ الأمّي، فقال بعضهم: اصبروا، فلمّا هُزِم المؤمنون في أُحد قالوا: إنّه ليس هو، وقال أيضاً: إنّها نزلت في جمع من الكفّار"[2].

ولكنّي أرى أنّ الآية الكريمة قد نزلت خطاباً للرّسول - صلّى الله عليه وسلم - وأصحابه، والدّليل على ذلك أنّها جاءت على الخطاب، وهو أسلوب يتناسق مع الآية التي سبقتها، حيث قال الله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12))[3]، وفعل الأمر هنا للنّبي - عليه الصّلاة والسّلام - ومن هنا فمن الأولى أن يستمرّ الخطاب له ولأصحابه.

وقد تقدّم الخبر على اسم " كان " في الآية القرآنيّة، والسّبب البلاغيّ الكامن وراء تقدّم هذا الخبر يتمثّل في تخصيص المخاطبين بالعظة والعبرة المتمثّلة بالفئتين اللّتين ضربهما الله مثلاً، فالتّقديم هنا أفاد التّخصيص للمخاطبين، وحصر الخطاب لهم.

وفي موضع ثانٍ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) ﴾[4].

ففي الآية الكريمة تقدّم للخبر على اسم " ليس "، والخبر هنا جارٌّ ومجرورٌ، وهو " لكم "، إذ يقول درويش في إعراب هذا الموضع من الآية الكريمة: " و"ليس"

---

[1]. الفرّاء. معاني القرآن، ج: 1، ص: 192.

[2]. الرّازي,أبوعبدالله محمد بن عمر. مفاتيح الغيب ، دار احياء التراث,بيروت-لبنان,الطبعة الثالثة.ج: 7، ص: 155.

[3]. سورة آل عمران، آية: 12.

[4]. سورة آل عمران، آية: 66.

فعل ماض ناقص ، و"لكم" جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر ليس المقدّم ‘و"بــه" جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال، و"علم "اسم ليس المؤّخر "[1].

ففي الآية الكريمة تقدّم خبر " ليس " على اسمها، وهذا التّقـديم إنّمـا جـاء لغرض بلاغيّ، فالعرب تقدّم ما هو أجدر باهتمامها، فالأسلوب القرآنيّ قدّم لفـظ " لكم "، الّتي تقع في محلّ نصب خبر " ليس " على اسمها؛ لدلالـة تأكيـد المعنـى، فالأهميّة نفي العلم عن أهل الكتاب الّذين يحاجّون فيما ليس لهم به علم، فكان بالتّالي تقديم الخبر أولى من تأخيره، وهو طابع بلاغيّ أوجه من الطّابع الذي يأخـذه لـو أُخِّر.

وقد يكون الملمح البلاغيّ فيهذا التّقديم؛ لجعل الفكرة تأخذ طابعاً عموميّـاً ، بمعنى أنّه درس قرآني ، تربويّ، اجتماعي لكلّ إنسان يحاجج ويجادل فيما ليس لــه به علم.

وهناك مواضع أخرى تقدّم فيها خبر " كان وأخواتها في سورة آل عمران، ليس بإمكاننا ذكرها جميعاً، إذ لو ذُكِرت لطال بنا المقام، ولكنّنا نكتفي بهذا القدر من الأمثلة[2].

وهكذا يتبيّن لنا من خلال الدّراسة السّابقة لاسم " كان " وأخواتها في سـورة آل عمران، أنّ الأسلوب القرآنيّ يأتي على أحوال تركيبيّة متعـ دّدة في حال دخـول " كان " وأخواتها على الجملة الاسميّة، وهذه الأحوال الّتي تتعلّق باسم " كان " تتمثّـل في أكثر صورها بالحالات الأربع المذكورة، ولم نجد في الأسلوب القرآنيّ أنّ اسم "" كان يتقدّم عليها، أو حتّى خبرها " لم نجده يتقدّم عليها وعلى اسـمها، بـل كانـت الحالات الأربع هي الّتي تأتي في السّورة.

كما لاحظنا أنّ " كان " هي أكثر أخواتها تكراراً في القرآن الكريم، والـسّبب عائد في ظنّنا إلى أنّها تدلّ على عموميّة الحدث، في حين أنّ باقي أخواتها تدلّ كـلّ واحدة منها على حدث تحت شرط معيّن، فمـثلاً " أصـبح تـدلّ علـى معـ نـى

---

[1]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 529.

[2]. سورة آل عمران، الآيات: 28، 75، 79، 128.

الصّيرورة، أو الدّخول في وقت الصبّاح ، ومن هنا فإنّ الفعل " كان " أكثر شـيوعاً في كتاب الله من غيره من الأفعال النّاقصة الأخرى.

3.2 " إنّ " وأخواتها:

ومن خصائص" إنّ" إذا وردت في الكلام لمجرّد الاهتمام أن تغني غناءً عـن فاء التّفريع، وتفيد كذلك التّعليل والرّبط، قال الإمام "عبد القاهر"(---إنّك ترى الجملة إذا هي دخلت - يعني "إنّ"، ترتبط بما قبلها ، وتأتلف معه، وتتّحد به، حتّـى كـأنّ الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً، وكأنّ أحدهما قد سبك في الآخر)"[1]".

و هذه الدّراسة تبحث في المرفوعات، فالنّاسخ بذاته لا يشكّل هـدفاً فيهـا، وإنّما الهدف هو المرفوع في جملة النّاسخ، وهو في " إنّ " وأخواتها الخبر.

وقبل البدء بالدّراسة نورد مقدمة موجزة عن " إنّ " وأخواتها، التـي يـسمّيها بعض النّحويين بالأحرف المشبّهة بالفعل.

وفيما يأتي حديث عن معاني هذه الأحرف، وهي ستّة أحرف، وأوّلها: إنَّ: تأتي لمعانٍ عدّة من أشهرها:

1. التّوكيد:وهو الأصل فيها ؛[2] قال تعالى :﴿أنا راودتّه عنْ نَفْـسِهِ وإنَّـهُ لَمِـنَ الصّادِقيْن ﴾[3].
2. الرّبط: فقد تأتي " إنّ " لربط الكلام بعضه ببعض، فلا يحسن سقوطها منـه، وإنْ أسقطتها رأيت الكلام مختلاًّ غير ملتئم ؛[4] وذلك نحو قوله تعالى : (قـالوا سُبحانَك لا عِلمَ لنا إلاّ ما علَّمْتَنا إنَّك أنتَ العليمُ الحكيم)[5].

---

[1] . عبدالقاهر الجرجاني,دلائل الإعجاز, ص:243

2. ابن النّاظم,محمد بن محمد بن مالك(1342ه). شرح ألفيّة ابن مالك،المطبعة العلوية,النجف-العراق. ص: 65، والسّيوطي. همع الهوامع، ج: 1، ص: 132، والسّامرّائي. معاني النّحو، ج: 1، ص: 261.

3. سورة يوسف، آية: 51.

4. السّامرّائي. معاني النّحو، ج: 1، ص: 264.

5. سورة البقرة، آية: 32, آية186.

3. التّعليل: وقد تأتي " إنّ " للتّعليل[1] وذلك نحو قوله : (وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (142)) [2].

أمّا " أنّ " فلها معانٍ وغايات في الكلام مرتبطة لا يكاد ينفكّ أحدها عن الآخر، وأهمّ وظيفة لها أنّها توقِع الجملة موقع المفرد، فتُهيّئها لتكون فاعلة، ومفعولة، ومبتدأ، ومجرورة، ونحو ذلك"[3].

ليت: للتّمنّي، والتّمنّي يكون في المستحيل، نحو : ليتَ الشّبابَ يعود، وفي الممكن غير المتوقّع، نحو : ليت سعيداً يُسافر معنا، فإن كان متوقّعاً دخل في التّرجّي، ولا يكون في الواجب حصوله، كأن تقول : ليت غداً آتٍ، فإنّ غداً واجب المجيء[4].

أمّا لعلّ فهي لتوقّع شيء محبوب أو مكروه، فـ توقع المحبوب يُسمّى ترجّياً ، وتوقّع المكروه يسمّى إشفاقاً، فالتّرجي نحو قوله تعالى : ﴿ لعلَّكم تُفْلِحونَ ﴾[5]، والإشفاق نحو: لعلّه يُهينُك"[6]، والتّرجّي لا يكون إلاّ في الممكن.

وقيل إنّها تأتي للتّعليل، وجعلوا من ذلك قوله تعالى : ﴿ فقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذكَّرُ أو يَخْشى ﴾[7]، ومن لم يُثبِت ذلك يحمله على الرّجاء، ويصرفه للمخاطَبَيْن، أي اذهبا على رجائكما"[8].

---

1. السّامرّائي. معاني النّحو، ج: 1، ص: 266.
2. سورة آل عمران. آية: 142.
3. السّامرائي. معاني النّحو، ج: 1، ص: 268.
4. ابن هشام. مغني اللّبيب، ج: 1، ص: 285، والأزهريّ. شرح التّصريح على التّوضيح، ج: 1، ص: 212-213.
5. سورة البقرة، آية: 189.
6. الزّمخشريّ. الكشّاف، ج: 1، ص: 277، وابن النّاظم. شرح ألفيّة ابن مالك، ص: 65، وابن هشام. مغني اللّبيب، ج: 1، ص: 287.
7. سورة طه، آية: 44.
8. ابن يعيش. شرح المفصّل، ج: 8، ص: 85، وابن هشام. مغني اللّبيب، ج: 1، ص: 288، والسّيوطي. همع الهوامع، ج: 1، ص: 134.

أمّا لكنَّالمشهور أنّها للاستدراك، واختُلِف في تفسير الاستدراك، فقيل : هو تعقيب الكلام برفع ما يُتوَهّم عدم ثبوته أو نفيه، كقولك: ما زيدٌ شجاعٌ ولكنّه كـــريم، فإنّك لما نفيت الشّجاعة عنه أوهم ذلك نفي الكرم؛ لأنّهما كالمتضايفين، فلمّـــا أردت رفع هذا الإيهام عقّبت الكلام بــ " لكن " مع مصحوبها"[1].

وقيل تأتي للتّوكيد على قلّة، نحو : لو جاء زيدٌ لأكرمته لكنّه لم يجئ، إذ عدم المجيء معلوم من " لو " الامتناعيّة"[2].

وآخر هذه الأحرف هي "كأنّ ": وتفيد التّـشبيه، وهـــي مؤلّفـــة علـــى رأي النّحويّين من كاف التّشبيه و " أنّ" قال سيبويه : " سألت الخليل عن كأنّ، فزعم أنّها " إنّ " لحقتها الكاف للتّشبيه، ولكنّها صارت مع " أنّ " بمنزلة كلمة واحدة "[3].

فمن ذلك تبيّن أنّ " كأنّ " مكوّنة من :كاف التّشبيه، و "أن " المصدرية، وهي مركّبة بمثابة كلمة واحدة تفيد التّشبيه.

وبعد التّقديم لهذه الحروف المشبّهة بالفعل الّتي تنسخ الابتداء، ننتقل للحديث عن المواضع التي ورد فيها خبر " إنّ " وأخواتها في سورة آل عمران، إذ وجدنا أنّ حرف التّوكيد " إنّ " وأخواتها قد وردت في سورة آل عمران بما يصل إلى واحــد وثمانين موضعاً، وردت " إنّ " في اثنين وستّين موضعاً، في حـــين كـــان نـــصيب الأحرف الباقية لا يتجاوز تسعة عشر موضعاً.

يدلّ تكرار " إنّ بهّذا الشّكل الملحوظ على أهميّة المعاني التي تأ تي عليها " إنّ"، ومن أبرز هذه المعاني التّوكيد، فكثرة ورود هذا الحرف التّوكيدي دلالة على تركيز الأسلوب القرآنيّ على توكيد بعض المسائل، وهـــذا مـــا ســـنلاحظه فـــي

---

[1]. ابن النّاظم. شرح ألفيّة ابن مالك، ص: 65، والأزهريّ. شرح التّصريح، ج: 1، ص: 211-212، والصّبّان. حاشية الصبّان، ج: 1، ص: 270.

[2]. ابن هشام. مغني اللّبيب، ج: 1، ص: 290-291، والأشمونيّ. شرح الأشمونيّ، ج: 1، ص: 270.

[3]. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(1977 م). كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ــ مصر ، ج: 1، ص: 474.

الصفحات القادمة، في حين أنّ الأحرف الأخرى لم يكن تكرارها على الوجه الـذي كان عليه تكرار " إنّ "، فكل حرف منها له دلالة خاصّة به في موضعه.

ومن ناحية تركيبيّة ، فقد رأينا أن نقسّم هذا المبحث من الدّراسة إلى تقسيمات ذات صلة بالتّركيب الذي يأتي عليه خبر " إن " وأخواتها في هذه الصورة، كون هذا العنصر التركيبيّ هو المخصوص بالدّراسة ، إذ يعد من المرفوعات، وقـد وجـدنا أحوال خبر " إنّ"وأخواتها على أربعة أحوال هي : أن يكون خبرها اسماً ظـاهراً مفرداً، و أن يكون خبرها جملة فعليّة فعلها ماضٍ أو مضارع، وأن يكون خبرهـا جملة اسمية، وأن يكون خبرها متقدّماً على اسمها، وبناء على هذه الحالات الأربـع ستكون الدّراسة لهذا المرفوع في سورة آل عمران.

خبر " إنّ " وأخواتها اسماً مفرداً ظاهراً:

وفي هذه الحالة يكون خبر " إنّ" وأخواتها اسماً ظاهراً مفرداً، وتظهر عليـه الحركة الإعرابيّة تقديراً أو تحقيقاً، وهو يدخل في باب المرفوعات، ونبدأ حديثنا عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ ا لْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19)﴾[1].

فلفظ ﴿ الْإِسْلَامُ ﴾ هو خبر " إنّ " المرفوع، أمّا اسمها فهو " الدّين "، إذ يقول درويش: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ، الجملة مستأنفة مؤكّدة للأولى ،و"إنّ" واسمها و"عند الله" ظرف مكان متعلّق بمحذوف حال و"الإسلام" خبر إنّ "[2].

و ذكر النّحاس أنّ هذه الآية لا تكون فيها " إنّ " إلاّ مكسورة الألف، وهـي تُعنى بالتّوكيد"[3]، في حين ذكر الأزهريّ أنّه ثمّة قراءة لهمزة " إنّ " بالفتح، علـى تقدير: شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو، وأنّ الدّين عند الله الإسلام، فجعل هـذه معطوفـة على تلك"[4].

ومعنى التّوكيد الّذي تفيده " إنّ " متعلّق بالجملة كلّها، أي بمركّبيهـا المـسند

---

1. سورة آل عمران، آية: 19.
2. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 476.
3. النّحاس. إعراب القرآن، ج: 1، ص: 148.
4. الأزهري. معاني القراءات، ج: 1، ص: 245.

والمسند إليه، ومن هنا فإنّ الفائدة الّتي نراها في " إنّ " في هذه الآية الكريمة تتمثّل في توكيد معنى أنّ الدّين هو الإسلام، فهناك أديان يخضع لها النّاس، ولكنّها ليست أدياناً عند الله لقوله : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ ولِيَ دِينِ (6)﴾ "[1]"، ومن هنا جاءت الآية الكريمة مؤكّدة بـ " إنّ ". إضافة إلى أنّها أيضاً جملة اسميّة تدلّ على الدّوام والاستمرار.

وتعريف جزئيّ الجملةالمسند، والمسند إليه بأل أفاد الحصر،أي :لا دين مرضيّاً عند الله تعالى سوى الاسلام، وهو قصر حقيقيّ أُكِّد بحرف التّوكيد "إنّ".

أمّا الخبر في الآية الكريمة ، فقد جاء على حاله الأصليّة التي يأتي عليها، وهي أن يكون مفرداً ظاهراً.

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26)﴾[2].

فالآية الكريمة تحوي " إنّ " النّاسخة للابتداء، ولقد كان خبرها اسماً ظاهراً، وهو " قديرٌ "، حيث يقول درويش في إعراب هذه الآية الكريمة: " جملة مستأنفة بمثابة التّعليل لما تقدّم "[3].

وقد ذكر النّحا س أنّ الآية الكريمة بعد أن ذكرت كلّ هذه الأمور الّتي يتّصف بها الله تعالى دون غيره، ناسب أن تُختم بقولنا " إنّك على كلّ شيء قدير "، وهذه الخاتمة للآية الكريمة فيها ثناء على الله تعالى"[4].

وقد جاءت الجملة المنسوخة بـ " إنّ " في عَجز الآية الكريمة، بعد أن عدّدت بعضاً من الصّفات التي يتّصف بها الله تعالى دون غيره، فهو الوحيد المتصرّف بإيتاء الملك، وهو الوحيد أيضاً المتصرّف بنزع الملك، القادر على أن يعزّ من يشاء، وأن يذلّ من يشاء، كلّ هذه الصّفات ينفرد بها الله تعالى، ومن هنا جاءت الجملة الأخيرة في نصّ الآية الا كريمة مؤكّدة بـ " إنّ "، في إشارة قويّة من الله

---

[1] سورة الكافرون, آية :6.
[2]. سورة آل عمران، آية: 26.
[3]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 486، والعكبريّ. التّبيان في إعراب القرآن، ج: 1، ص: 251.
[4]. النّحاس. معاني القرآن، ج: 1، ص: 150.

تعالى إلى أنّه هو صاحب هذه القدرات وليس أحد من الخلق يقدر على مثــل هــذه الأعمال التي ينفرد بها جلّ وعلا.

وشبه الجملة " كلّ شيء " متعلّقة بــ " قدير،"وقد تقدّمت على الخبر " قدير"، وهذا يعني أن الشّمولية في قدرة الله عزّ وجلّ كانت هي الأهم في التّقديم، فلأهميّتها قُدّمت على الخبر المرفوع، وهو ملمح بلاغيّ أيضاً يدخل في إطار التّقديم والتّأخير.

وهكذا نكون قد قدّمنا مثالين على هذا التّقسيم التّركيبي لخبر " إنّ " وأخواتها كما ورد في سورة آل عمران، ولا نريد الإكثار من الحديث حول هذا القسم لغيــر سبب، فهو الأشيع، وهو الأصل الذي يُفترض أن يأتي عليه الخبر، إضافة إلـــى أنّ الملامح البلاغيّة ليست ظاهرة إلى حدّ كبير كما هو الحال في أمثلة أخرى ســنراها إن شاء الله تعالى، وثمّة أمثلة على هذا القسم نشير إليها في الهامش"[1].

خبر " إنّ " وأخواتها جملة فعليّة:

وهي حالة تتعلّق بالتّركيب النّحوي للجملة، سواء أكان فعل الجملة ماضياً أم مضارعاً، وفيما يأتي سنعرض لبعض هذه الأمثلة.

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ اللَّـهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ﴾[2].

فالآية الكريمة تحوي جملة اسميّة دخلتها " إنّ "النّاسخة، و خبر "إنّ" في هذا جملة فعليّة فعلها ماض، حيث إنّ إعراب هذه الجملة هو : ﴿إِنَّ اللَّـــهَ اصْــطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾ ، إن واسمها، وجملـــة ﴿اصْــطَفَى آدَمَ وَنُوحًـــا﴾ خبر"[3].

---

1. سورة آل عمران، الآيات: 38، 51، 52، 63، 64، 86، 89.
2. سورة آل عمران، آية: 33.
3. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 495.

يقول الطّبري في تفسير الآية : إنّ الله اجتبى آدم ونوحاً لدينهما، واجتبى آل إبراهيم وآل عمران لدينهم أيضاً؛ لأنّهم كانوا أهل الإسلام، وقد كان اجتباء الله تعالى لدينهم على سائر الأديان التي كانت آنذاك، وآل الرجل أهله"[1].

وقد نزلت هذه الآية في اليهود، " قال ابن عبّاس: قالت اليهود: "نحن أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونحن على دينهم ومنهاجهم"، فأنزل الله تعالى هذه الآية:

يعني: إنّ الله اصطفى هؤلاء الّذين قالوا بالإسلام، وأنتم على غير دين الإسلام، واصطفى [افتعل] من الصَّفوة وهو الخالص من كلِّ شيء، يعني: اختاروا واستخلصوا آدم أبا البشر ونوحاً شيخ المرسلين، وآل إبراهيم وآل عمران "[2].

والآية الكريمة جاءت بخبر جملة فعليّة فعلها ماضٍ، والفعل الماضي يفيد بأنّ زمن الحدث قد انقضى وانتهى، ومن هنا كان الفعل ماضياً تناسباً مع طبيعة الموضوع الذي تتحدّث فيه الآية الكريمة، فنحن نعلم أنّ كلّ مَن ذُكر في الآية الكريمة كانوا قد ماتوا قبل مجيء النّبي - صلّى الله عليه وسلّم - ومن هنا كان التّعبير بفعل ماضٍ؛ للدّلالة على انقضاء الحدث.

ومن ناحية ثانية، قد يكون مجيء الخبر جملة فعليّة ماضية ؛لقطع الجدال على اليهود في كلّ العصور الماضية والحاضرة واللّاحقة - كي لا يستمروا على هذا الجدال في قضيّة اصطفائهم ، فالأمر قد حُسِم وانتهى ، وعُرِف من الّذين اصطفاهم اللّه ،فلا سبيل لهذا الادّعاء ،و لا سبيل لهذه المراوغة.

وكان دخول " إنّ" على الجملة توكيداً لها ولمعناهافالآية الكريمة نزلت في اليهود، وكان من الأولى بالأسلوب القرآنيّ أن تأتي الجملة مؤكّدة بـ " إنّ " كَرَدٍّ صارم على اليهود الذين يدّعون أنّ الله قد اصطفاهم، فجاء المعنى مؤكّداً على هذا النّحو ليكون أكثر صرامة مع اليهود في ادّعائهم.

---

[1]. الطّبري. جامع البيان، ج: 6، ص: 326، وابن أبي الزّمنين.أبوعبدالله محمد بن عبدالله(2002م). تفسير القرآن العزيز،تحقيق:حسين عكاشة ومحمد مصطفى الكنز,الفاروق الحديثة,القاهرة-مصر,الطبعة الاولى.ج:1، ص: 285.

[2]. الثّعلبي,أبو اسحق أحمد بن محمد. الكشف والبيان عن تفسير القرآن, ج: 3، ص: 52.

وفي موضع آخر يقول الله تعالى :﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آَمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آَخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72)﴾[1].

تحوي الآية جملة اسميّة دخلتها " لعلّ " النّاسخة للابتداء، وقد كان خبر " لعلّ " جملة فعليةفعلها مضارع، وإعراب هذه الجملة هو :"لعلّهم يرجعون"، جملة الرّجاء في محلّ نصب على الحال أي راجين رجوعهم عن دينهم ، و"لعلّ" واسمها وجملة "يرجعون خبرها "[2]

وقد نزلت هذه الآية الكريمة في رهط من اليهود يقال إّنهم اثنا عشر حبراً من أحبارهم، اتفقوا فيما بينهم على أن يؤمنوا بألسنتهم بدين الإسلام في أوّل النّهار، وهذا معنى وجه النّهار، ثم إذا كان آخر النّهار كفروا بالدّين، أي كأنّهم وجدوا فيه شيئاً يدعوهم للكفر، وقد هدفوا من ذلك أن يحرّكوا مشاعر الشّك في نفوس بعض الصّحابة ضعاف الإيمان كي يرتدّوا عن دين الإسلام[3].

ويمكن أن نرى الاستعمال اللطيف لـ " لعلّ " في الآية الكريمة، فـ " لعلّ " تفيد الرّجاء، والرّجاء طلب حصول الشيء الواقعيّ الّذي يمكن أن يحصل، ولكنّه في حال طلبه لا يكون واقعاً بل يكون مطلوباً، ومن هنا فإنّ الاستعمال كان في محلّه في الآية الكريمة، فاليهود يرغبون في ارتداد بعض الصّحابة الكرام عن دينهم، فهم يحاولون ذلك ما استطاعوا، وهذه الحيلة بعض حيلهم، وقد يحصل ذلك وقد لا يحصل، ومن هنا كان استعمال الرّجاء في مكانه.

ولو أنّهم قالوا : ليتهم يرجعون، لكان المعنى على خلاف كبير مع المعنى الأول، ففي هذه الجملة يكون المعنى أن المسلمين من المستحيل أن يرتدّوا عن دينهم، وهذا ما ليس واقعاً، فالقلوب متقلّبة، وقد يرتدّ بعض النّاس عن الدّين، ومن هنا فإنّ استعمال حرف التّمنّي " ليت " ليس في مكانه .

---

1. سورة آل عمران، آية: 72.
2. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 533.
3. الطّبري. جامع البيان، ج: 6، ص: 506 ـ 507، والرّازي. مفاتيح الغيب، ج: 8، ص: 257.

أمّا مجيء الخبر جملة فعليّة؛ فهو لبيان حرقة هؤلاء الحاقدين، وتلهّفهم لحصول هذا الأمر، فلو قال النص ليتهم راجعون، لكان ذلك تمنّي رجوعهم في المستقبل، أو ربّما يشعر بالتّمنّي مع بعد تحقيقه ، لكنّ استعمال "يرجعون" يدلّ على ترجّي حصول الحدث -وهو الأهمّ والغاية المرجوّة- في هذه اللّحظة وبأسرع وقت.

وننتقل إلى موضع آخر في سورة آل عمران، إذ يقول جل وعلا : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179) ﴾[1].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِه مَنْ يَشَاءُ﴾، يَجُوزُ أَنَّهُ اسْتِدْرَاكٌ عَلَى مَا أَفَادَهُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ حَتَّى لَا يَجْعَلَهُ الْمُنَافِقُونَ حُجَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. فِي نَفْيِ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَة، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ إِلَّا مَا أَطْلَعَ عَلَيْهِ رَسُولَهُ وَمِنْ شَأْنِ الرَّسُول أَنْ لَا يُفْشِيَ مَا أَسَرَّهُ اللَّهُ إِلَيْه كَقَوْلِهِ : ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ﴾[2] ، فَيَكُونُ كَاسْتِثْنَاءٍ مِنْ عُمُومِ لِيُطْلِعَكُمْ. وَيَجُوزُ أَنَّهُ اسْتِدْرَاكٌ عَلَى مَا يُفِيدُهُ وَما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ مِن انْتِفَاءِ اطِّلَاعِ أَحَدٍ عَلَى علْمِ اللَّه تَعَالَى فَيَكُونُ كَاسْتِثْنَاءٍ مِنْ مُفَادِ الْغَيْبِ أَيْ: إِلَّا الْغَيْبَ الرَّاجِعَ إِلَى إِبْلَاغِ الشَّرِيعَة، وَأَمَّا مَا عَدَاهُ فَلَمْ يَضْمَنِ اللَّهُ لِرُسُلِه إِطْلَاعَهُمْ عَلَيْهِ بَلْ قَدْ يُطْلِعُهُمْ، وَقَدْ لَا يُطْلِعُهُمْ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الْأَنْفَال: 60)"[3].

فخبر " لكنّ " في هذه الآية الكريمة يتمثّل بالجملة الفعليّة، وفعل هذه الجملة مضارع، وفاعله ضمير مستتر عائد إلى لفظ الجلالة " الله"، وإعراب هذه الجملة من الآية الكريمة هو : " "الواو" عاطفة، و"لكنّ" حرف مشبّه بالفعل بمعنى الاستدراك ، و"الله" اسمها، وجملة " يجتبي" خبرها، و"من رسله" جارّ ومجرور متعلّقان ب "يجتبي"، و"من" اسم موصول مفعول به، وجملة " يشاء" صلة الموصول "[4].

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 179.

2 .سورة الجن , آية:26, 27.

3 .ابن عاشور,التّحرير والتّنوير,ج:4,ص:180.

[4]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 2، ص: 117.

فالخبر في هذه الآية الكريمة جاء جملة فعليّة فعلها مضارع ، و فاعله ضمير مستتر عائد إلى لفظ الجلالة المتقدّم، وهو اسم " لكنّ "، وهذا الضّمير العائد في الآية الكريمة يُوجِدُ لنا ترابطاً وتماسكاً في النّص القرآنيّ.

وهذه الآية ذات ارتباط بمعنى السّياق القرآنيّ الّذي وردت فيه، فقد ذكرت الآيات الكريمة أنّ النّاس لا يعلمون ما في ضمائر بعضهم بعضاً، والله من يعلم ذلك، وهو يُطلع من يشاء من رسله على ما في ضمائر غيره من النّاس، وخاصّةً من كان من المنافقين"[1].

وقد نزلت هذه الآ ية في مجموعة من المنافقين علموا أنّ الرّسول - صلّى الله عليه وسلّم - قد قال : " إنّه قد عرضت له أمّته في التّراب كما عرض البشر لآدم، فعرف من يؤمن به ومن يكفر، فقال المنافقون : يزعم محمّد أنّه يعلم من يؤمن به ومن يكفر، ونحن معه ولا يدري عنّا، فنزلت هذه الآية الكريمة"[2].

فعمل " لكنّ " في الآية الكريمة استدراكٌ للمعنى العام ، فعلم الغيب بيد الله تعالى وحده، والله لا يُطلع أحداً على الغيب إلا من يشاء، ولقد بيّن الله تعالى في الآية الكريمة أنّ الّذين يطلعهم – سبحانه- على الغيب هم الأنبياء وليس لأحد غيرهم ذلك، و هذا فيه طمأنينة لقلوب النّاس، فجاءت " لكنّ " لتفيد معنى الاستدراك، وفيها أيضاً بعض معنى الاستثناء، فالله تعالى استثنى من يشاء من عباده في قضيّة الإطّلاع على الغيب، ومن هنا يبرز المعنى البلاغيّ في هذه الآية الكريمة.

وثَمّة آياتٌ أُخَر أتت على هذا النمط التّركيبي لا سبيل لذكرها وتحليلها جميعها، غير أنّه يمكن القول بأنّ أغلب تلك الآيات احتوت " إنّ " وكانت فائدتها التّوكيد، ونشير لهذه الآيات في الهامش"[3].

خبر " إنّ " وأخواتها جملة اسميّة:

أمّا هذا الجزء من الدّراسة ؛فهو للحديث عن خبر " إنّ " وأخواتها في سورة آل عمران على صورة جملة اسميّة.

---

[1]. الطّبري. جامع البيان، ج: 7، ص: 427، والماوردي. النّكت والعيون، ج: 1، ص: 438.
[2]. البغويّ. تفسير البغويّ، ج: 2، ص: 140 ــ 141.
[3]. سورة آل عمران، الآيات: 5، 9، 24، 32، 35، 36، 42، 45.

إذ يقول الله تعالى : (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35)﴾[1].

فهذه الآية الكريمة جاءت في خاتمتها بجملة اسميّة دخل لها النّاسخ " إنّ "، وخبر هذه الجملة جملة اسميّة، و إعرابها : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ، إنّ واسمها، و"أنت" مبتدأ أو ضمير فصل لا محلّ له ، و"السّميع العليم " خبر إنّ ل "أنت"، والجملة الاسميّة خبر ل "إنّ"، أو خبران ل "إنّ"، وجملة "إنّ" وما في حيّزها تعليليّة لا محلّ لها "[2].

ومن خلال النّص السّابق تبيّن لنا التّركيب الّذي أتت عليه الجملة، فالمبتدأ الثّاني ضمير فصل، والنّحاة في هذا الضّمير على قسمين : قسم يجعل له موضعاً من الإعراب وهم الكوفيّون، وقسم لا يجعل له موضعاً من الإعراب، وهم البصريّون[3].

وضمير الفصل هذا ذو فائدة بلاغيّة تتمثّل في أنّه يمثّل أسلوباً من أساليب القصر والحصر، فهو يفيد حصر المسند في المسند إليه، وكذلك فإنّه يفيد الاختصاص، فهو يخصّ المسند إليه بالمسند.

ومن هنا يتبيّن المقصد البلاغيّ في الآية الكريمة، حيث إنّ ضمير الفصل في الآية جعل الله تعالى مختصّاً هو بالسّمع والعلم، وكذلك فإنّ الآية حصرت السّمع والعلم به سبحانه وتعالى، والقصد هنا ليس السّمع البشري الّذي نعرفه، وإنّما هو مطلق السّمع، حيث قال الله تعالى في محكم تنزيله واصفاً لنا مطلقيّة العلم عنده : ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾[4].

وحوت الآية غير أداة للتّوكيد ؛ وذلك لأنّ الخطاب موجّه لأكثر من فئة كاليهود والنّصارى والمشركين، وبعض هؤلاء لا يقنعون بالخطاب الربّاني منذ

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 35.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 497.

[3].الأنباري,أبو البركات عبدالرحمن بن محمد(2003م). الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين,المطبعة العصرية,الطبعة الاولى، ج: 2، ص: 579، مسألة: 100.

[4]. سورة الأعلى، آية: 7.

الوهلة الأولى؛ لذا لجأ الخطاب للتّأكيد؛ لتقرير جملة الأمور التي تحدّث عنها، ومن هذه الأدوات:

1. تأكيد الخبر ب"إنّ" ؛تحقيقاً لوقوعه.
2. قَصرُ صفتي السّمع والعلم عليه جلّ وعلا ؛ لبيان أنّ دعاءها مختصّ به سبحانه وتعالى،لا يصرف لغيره ،ولبيان انقطاع حبل رجائها عما عداه ، مبالغةً في الضّراعة والابتهال.
3. تأكيد قوله"إنّك أنت السّميع العليم "ب"إنّ" واسميّة الجملة؛ لعرض قوّة يقينها بمضمونها.

ولا بدّ لنا أن نأخذ بعين الاعتبار السّياق المقامي الّذي كان في أثناء حديث زوجة عمران بهذه الجملة، فقد كانت تناجي ربّها، وتنذر أنّها حين تنجب ستجعل الغلام الّذي ستنجبه محرّراً لخدمة بيت الله، ومن هنا قالت: " إنّك أنت السّميع العليم"؛ لتأكيد هذا النّذر أوّلاً، ولمعرفتها اليقينيّة بأنّ الله تعالى يسمعها ويعلم ما في خَلَدِها من حقيقة نذرها.

وفيما يأتي ننتقل إلى موضع آخر من سورة آل عمران، إذ يقول جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62)﴾[1].

و الوجه التركيبّي الّذي تبدو عليه الآية الكريمة هو أنّ خبر " إنّ " جملة اسميّة، وإعراب هذه الآية هو : " "إنّ هذا" ، "إن واسمها"، و "اللاّم" المزحلقة ،و"هو" ضمير فصل لا محلّ له ، و"القصص" خبر، أو «هو» مبتدأ و"القصص" خبره ، والجملة خبر إنّ، و"الحقّ" صفة للقصص "[2].

فخبر النّاسخ في هذه الجملة هو جملة اسميّة، يتمثّل فيها المبتدأ بالضّمير المنفصل " هو "، أمّا الخبر فيتمثّل بـ " القصص "، وقد دخل خبر هذه الجملة

---

1. سورة آل عمران، آية: 62.
2. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 526.

المنسوخة اللاّم المزحلقة، وهي ذات دلالات بلاغيّة أهمّها التّوكيد وإن كان بعض العلماء قد حصر دلالة اللّام المزحلقة في هذا المعنى "[1]".

وقد ورد في هذه الآية الكريمة كثير من المؤكِّدات، وهي على هذا النّحو:

1 . إنّ: وهي حرف ناسخ يفيد التّوكيد، فلقد أكّد معنى الجملة المتمثّل بالجملة التي دخل عليها.

2. ضمير الفصل الواقع في صدر جملة الخبر: فجملة الخبر جملة اسميّة، المبتدأ فيها ضمير فصل، ومن فوائده التّوكيد، والاختصاص.

3 . معنى القصر: والقصر والحصر أيضاً يفيدان التّوكيد، حيث نشأ معنى القصر والحصر من خلال ضمير الفصل الكائن في صدر جملة الخبر.

4 . اللاّم المزحلقة: واللاّم المزحلقة أصلاً هي لام الابتداء، و تفيد التّوكيد.

فقد دخلت الجملةَ توكيداتٌ أربعة، كأنّ الله تعالى يريد أن يبيّن لنا أنّ ما في القرآن الكريم من القصص هي قصص الحقّ الصّادقة، وليس ما ورد في بعض كتب أهل الكتاب المزيّفة، إذ جاءت هذه الجملة بعد ذكر طويل لقصّة امرأة عمران، ومن ثمّ ادّعاء اليهود بأنّ إبراهيم كان يهودياً، وغير ذلك من الأخبار، فحَسُن أن تُختَم هذه الأخبار بهذه الجملة المؤكّدة التي تُبيّن أنّ ما جاء في القرآن هو الصّحيح، وما ورد في غيره من الكتب يخالطه الصّحة والخطأ؛ بسبب التّحريف والتّزييف والافتراء.

وثَمّة مواضع أخرى في سورة آل عمران لا سبيل لذكرها ؛لتقارب الدّلالة فيها[2].

تقدّم خبر " إنّ " وأخواتها على اسمها:

وهذه الحالة التركيبيّة الأخيرة في هذا الجزء من الحديث عن النّواسخ، و تتمثّل بأن يأتي خبر "إنّ" وأخواتها متقدّماً على اسمها، و أبرز صور هذه الحالة أن يكون الخبر شبه جملة، سواء أكانت شبه جملة ظرفية، أم شبه جملة جارّ ومجرور،

---

[1]. حبلّكة,عبدالرحمن بن حسن(1996م). البلاغة العربيّة، دار القلم, دمشق-سوريا, والدار الشامية, بيروت-لبنان, ج: 1، ص: 182.

[2]. سورة آل عمران، الآيات: 8، 62.

ومن هنا فإنّ هذا الخبر يتقدّم على اسم " إنّ"، وفيما يأتي سنوضح بعض الأمثلة إن شاء الله تعالى.

يقول سبحانه في محكم التّنزيل : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (13)﴾[1].

فخبر " إنّ " جاء شبه جملة مكوّنة من الجارّ والمجرور، تقدّم على اسمها، وإعراب هذه الآية هو : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ ، الجملة مستأنفة مسوقة للحثّ على الاعتبار، و"إنّ" حرف مشبّه بالفعل، و"في ذلك" جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم ، و"اللاّم" المزحلقة، و"عِبرة"اسم إنّ المؤخَّر ، و"لأولي" جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف صفة ل "عبرة" وعلامة جرّه الياء ؛لأنّه ملحق بجمع المذكّر السّالم، و"الأبصار" مضاف إليه "[2].

لقد جاءت هذه الجملة في خاتمة الآية التي تتحدّث عن الفئتين المؤمنة والكافرة، ثم قال سبحانه: " والله يؤيّدُ بنصرِه من يشاءُ "، ثم جاء بهذه الجملة الّتي دخلتها بعض المؤكِّدات هي:

1 . إنّ: تفيد التّوكيد، فالجملة التي هي في حيّزها مؤكّدة بها، وبالتّالي فإنّ المعنى كلّه مؤكّد بها.

2 . تقديم الخبر على اسم " إنّ ": فالتّقديم يفيد الحصر والقصر والاختصاص، ومن هنا فإنّ تقديم خبر " إنّ " على اسمها أفاد ذلك، والحصر والقصر لونان من ألوان تّأكيد المعنى.

3 . اللاّم المزحلقة: وقد ذُكِرَ سابقاً أنّ اللاّم المزحلقة تفيد التّوكيد، فهي أصلاً ناشئة من لام الابتداءالّتي تفيد التّوكيد، ومن هنا فإنّ اللاّم المزحلقة تؤدّي المعنى نفسه.

وهذه المؤكّدات الّتي اجتمعت في الجملة إنّما جاءت؛ ليبيّن الله تعالى أنّ هذا المعنى ذو أهميّة كبيرة، فهو يتعلّق بالاعتبار الّذي يفترض أن يتوصّل إليه أولو

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 13.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 466.

الأبصار من خلال تفكّرهم بكيفيّة نصر الله تعالى لأولياءه، وكيف أنّه تعالى يداول الأيام بين النّاس.

وفي موضع آخر يقول جلّ وعلا : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)﴾[1].

تحتوي الآية الكريمة جملة منسوخة الابتداء بـ " إنّ " و خبر " إنّ " شبه جملة متقدّماً على اسمها، وإعراب هذه الجملة هو " و"إنّ"حرف مشبّه بالفعل ، "في خلق السّموات والأرض " جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر إنّ المقدّم ، و"اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ "عطف على خلق ، و" اللاّم"المزحلقة، و"آيات" اسم إنّ المؤخّر و"لأولي الألباب" جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف صفة لآيات "[2].

يقول الطّبري في تفسير هذا الموضع من الآية الكريمة : " قال أبو جعفر: وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك، وعلى سائر خلقه، بأنّه المدبّر المصرّف الأشياء والمسخِّر ما أحبّ، وأنّ الإغناء والإفقار إليه وبيده، فقال جلّ ثناؤه: تدبّروا أيّها النّاس واعتبروا، ففيما أنشأته فخلقته من السّموات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم، وفيما عقَّبت بينه من اللّيل والنّهار فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم "[3].

فالآية تدعو إلى التّفكر والتّدبّر في مخلوقات الله تعالى ، وخاصّة ما كان من إنشاء الأرض، وخلق السماء، وهذا معنى عظيم من المعاني الّتي ركّز عليها القرآن في كثير من المواضع، ومن هنا جاءت الآية الكريمة مؤكّدة بغير عنصر توكيديّ، هي:

1 . إنّ: وتفيد التّوكيد .

2 . اللاّم المزحلقة: وتفيد التّوكيد، وقد اتّصلت بلفظ " آيات ".

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 190.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 2، ص: 131.

[3]. الطّبري. جامع البيان، ج: 7، ص: 473،الثّعلبي. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج: 2، ص: 31، والماوردي. النّكت والعيون، ج: 1، ص: 442.

3 . تقديم خبر " إنّ " على اسمها: وهذا التّقديم إنّما كان لبيان الأهميّة، والتّخصيص، والحصر والقصر، وهذه كلّها تفيد توكيد المعنى.

وابتداء الآية ب "إنّ" اعتناءً بتحقيق مضمون الجملة،أي العجائب والبدائع الّتي يتمتّع بها اللّيل والنّهار، ومن هنا تبرز القيمة البلاغيّة لهذه العناصر التي أسهمت في بناء الآية الكريمة.

وهناك مواضع أخرى ورد فيها تقديم خبر " إنّ " وأخواتها ـ على اسمها، غير أنّنا نرى فيما أوردناه القدر الكافي لهذا الجزء من الدّراسة[1].

وفي نهاية هذا الفصل يمكننا أن نستخلص الملحوظات الآتية:

تأتي " إنَّ " في سورة آل عمران خاصّة، وفي كتاب الله عامّة على وجه يزيد على مجيء غيرها من أخواتها، بل يفوقها إلى مدى بعيد جدّاً.

تأخذ " إنّ " في كتاب الله تعالى معنى التّوكيد أكثر ممّا تأخذ من غيره من المعاني الّتي قد تفيدها.

يأتي خبر " إنّ "المرفوع على حـالات كثيرة، وأكثر هذه الحالات وروداً هي أن يكون خبر " إنّ " جملة فعليّة.

تدخل " إنّ " في كتاب الله تعالى على الجمل التي تفيد معنىً عظيماً يريد الله تعالى أن يبيّنه ، وقد تشترك " إنّ " مع غيرها من المؤكِّدات في جملة واحدة، فقد تأتي جملة مؤكّدة بغير عنصر توكيد، كالتّقديم، وضمير الفصل، واللاّم المزحلقة.

4.2 " لا " النّافية للجنس:

يتحدّث هذا الجزء من الدّراسة عن خبر " لا " الّتي لنفي الجنس، إذ لم نجد كثيراً من المواضع التي تدخل في دائرة " لا " الّتي لنفي الجنس، إذا ما قُورِنَت المواضع بمواضع " إنّ " وأخواتها، و" كان " وأخواتها، فهذان البابان متّسعان في الدّراسة النّحويّة، غير أنّ موضوع " لا " الّتي لنفي الجنس لا نجد له كثيراً من المواضع التي تَستَعمِل فيها اللّغة بشكل عام ، هذا النّوع من التّركيب.

---

[1]. سورة آل عمران، الآيات: 26، 30، 49، 87.

والقرآن الكريم نصّ لغويّ له مكانته في الدّرس اللّغوي ، وما ينطبق على غيره من النّصوص قد ينطبق عليه؛ لذا فإنّ " لا " الّتي لنفي الجنس لم تأتِ بأمثلة كثيرة في كتاب الله تعالى عموماً، وفي سورة آل عمران خصوصاً، وسنعرض لهذه المواضع في السّورة بعد هذه اللّمحة الموجزة عن " لا " الّتي لنفي الجنس مناط الدّراسة في هذا الجزء.

فهي تدخل على النّكرة فتنفيها نفياً عامّاً، ويكون الاسم بعدها مبنيّاً على الفتح أو منصوباً، قال تعالى: ﴿ذلك الكتابُ لا ريبَ فيهِ﴾[1]، وهي -كما يقول النّحاة - تدخل على المبتدأ والخبر، وتعمل في المبتدأ النّصب، شرط أن يكون نكرة، وأن يكون المقصود بها النّفي العامّ وألاّ تتكرّر، فإن تكرّرت ، لم يتعينْ إعمالها وإنّما جاز، وألاّ يكون مفصولاً بينها وبين اسمها بفاصل وإلاّ أُهمِلت وجوباً[2]، وذلك نحو قوله تعالى:﴿لافيها غولٌ ﴾[3].

ومن الشّروط أيضاً أن لا تكون النّكرة معمولة لغير "لا " بخلاف نحو: جئت بلا زادٍ، فإنّ النّكرة معمولة للباء وهي مجرورة به[4].

وفيما هو آتٍ ننتقل للحديث عن المواضع التي وردت في سورة آل عمران التي احتوت أمثلة على خبر " لا " الّتي لنفي الجنس.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2)﴾[5].

حيث نجد في الآية الكريمة أنّ " لا " الّتي لنفي الجنس قد دخلت على الجملة، فنصبت اسمها، ورفعت خبرها، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنّ خبر " لا " الّتي لنفي الجنس محذوف، وتقديره، " لنا " أوفي الوجود، حيث يقول الأنصاريّ : " " الله:

---

1. سورة البقرة، آية: 2.
2. السّيوطي. همع الهوامع، ج: 1، ص: 466، والأزهريّ. شرح التّصريح على التّوضيح، ج: 1، ص: 237، وابن النّاظم. شرح ألفيّة ابن مالك، ص: 74
3. سورة الصافات، آية: 47.
4. السّيوطي. همع الهوامع، ج: 1، ص: 466.
5. سورة آل عمران، آية: 2.

مبتدأ. " و"لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" : مبتدأ ثان، وخبره محذوف أي: لا إله لنا، أو: في الوجود إلاّ هو "[1].

يقول محي الدّين درويش في إعرابها : " "الله" مبتدأ، و"لا"نافية للجنس ، و"إله" اسمها، و"إلاّ" أداة حصر وهو بدل من محل "لا" واسمها على الصّحيح أو من الخبر المحذوف أي لا إله موجود إلاّ هو، والجملة خبر الله"[2].

و بناء على القاعدة النّحوية يمكن أن نقدّر الخبر المحذوف بشبه جملة لا باسم ظاهر كما قال درويش، فالأكثر في " لا " الّتي لنفي الجنس أن يكون خبرها شبه جملة.

كما ذكر الألوسي أنّ جملة " لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم " كلّها واقعة في خبر لفظ الجلالة " الله[3].

ولو تدبّرنا الغرض البلاغيّ من حذف خبر " لا " الّتي لنفي الجنس في هذه الآية الكريمة، لتبيّن أنّه حُذف في كلمة التّوحيد؛ ليدلّ بذلك على الشّمول والعموميّة، فاسم " لا نكرة، والنّكرة تدلّ على العموم دون التّخصيص، ولمّا حُذِف خبرها ،دلّ ذلك على شموليّة النّفي عن كلّ من لا يستحقّ العبادة سواه عزّ وجلّ.

ومن خلال النّصوص السّابقة اتّضحت بلاغة حذف خبر " لا " التي لنفي الجنس، والحذف في بعض الأحيان أبلغ من الذّكر، يقول الجرجانيّ :(هو باب دقيق المسلك،لطيف المأخذ،عجيب الأمر،أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة،أزيد للإفادة)[4].

وقد تكرّرت كلمة التّوحيد هذه في سورة آل عمران مرّة أخرى، وما ورد فيها من قول فهو مثيل لما ذُكِر آنفاً[5].

---

[1]. الأنصاريّ. إعراب القرآن العظيم، ص: 193.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 454.

[3].الألوسي, محمود بن عبدالله(1415ه). روح المعاني، تحقيق:علي عبدالباري عطيه, دار الكتب العلمية, بيروت-لبنان. ج: 2، ص: 73.

[4].الجرجاني,دلائل الإعجاز,ص:177.

[5]. الآية : 6.

وننتقل إلى موضع آخر في سورة آل عمران، إذ يقول سبحانه وتعالى : (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (9)﴾[1].

والإعراب: " و"لا" نافية للجنس، و"ريب" اسمها ، والجارّ والمجرور " متعلّقان بمحذوف خبرها. وجملة "لا ريب فيه" في محلّ جرّ صفة ليوم "[2].

تنصّ الآية على نفي جنس الشّكّ في إتيان يوم القيامة، ومعناها : " ربّنا إنّك جامع النّاس ليوم القيامة، فاغفر لنا يومئذ واعف عنّا، فإنّك لا تخلف وَعْدك: إنّ من آمن بك، واتَّبع رَسُولك، وعمل بالّذي أمرتَه به في كتابك، إنّك غافره يومئذ "[3].

فالآية تنفي حصول الشّك والرّيب من قِبَل من آمن بالله تعالى، ولا سيّما في مسألة البعث، وهذا الشّك منفيٌّ بصفة العموم والشّمول، والدّليل على ذلك أنّ " لا " قد دخلت على اسم نكرة، والنّكرة تفيد العموم.

وقد كانت الأمثلة والشّواهد على " لا " الّتي لنفي الجنس في سورة آل عمران قليلة جدّاً، فهي لم تتجاوز ثلاثة شواهد بيّناها فيما سبق ، ورأينا أنّ هذه المواضع إنّما كانت في أمور عقديّة تتعلّق بالإيمان، فقد دخلت على جملة التّوحيد، وأفادت نزع صفة الألوهيّة عن كلّ من يدّعيها، وأُثبِتت هذه الصّفة لله تعالى وحده، ثمّ في موضعٍ آخر دخلت على جملة تفيد نفيّ الشّك بصفة عامّة عن الإيمان باليوم الآخر، فمن يؤمن باليوم الآخر لا يشكّ بمجيئه أبداً.

5.2 اسم الأحرف المشبّهات بـ " ليس ":

أمّا هذا الجزء من الدّراسة فسيكون الحديث فيه عن الأحرف الّتي شُبّهت بـ " ليس " في العمل، وهي أربعة: لا، ولات، وإنْ، وما الحجازيّة.

إنّنا لم نجد في سورة آل عمران أيّ شاهد على " لا، ولات، وإنْ " المشبّهات ب "ليس"، وما وجدناه فقط هو عن " ما " المشبّهة ب "ليس"، وهي ما الحجازيّة،

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 9.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 461.

[3]. الطّبري. جامع البيان، ج: 6، ص: 221.

حيث أعملت " ما " عمل ليس في لغة أهل الحجاز، قال تعالى : ﴿ما هذا بشراً ﴾[1]، ولم تُعملها تميم، ويذكر النّحاة أوجه المشابهة بينهما، فيقولون : "إنّ كلتيهما تدخل على المبتدأ والخبر، وإن كانت ما لا تختصّ بالدّخول على الجمل الاسميّة، وكلتاهما لنفي الحال، ويقوّي هذه المشابهة بينهما دخول الباء في خبرها كما تدخل في خبر " ليس"[2]، وقد ذهب بعض اللّغويين إلى أنّها تنفي الحال فقط[3].

وفيما يأتي الحديث عن المواضع التّي ورد فيها بعض هذه الأحرف، فقد وجدنا أنّ الحرف الوحيد الّذي ذُكِر من بين هذه الأحرف المشبّهة بـ " ليس "هو " ما الحجازيّة "، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78)﴾[4].

فقد ذكرت بعض المصادر أنّ " ما " الواردة في الآية الكريمة هي " ما " الحجازيّة، وإعراب هذه الآية الكريمة : " "الواو" حاليّة، و"ما" نافية حجازيّة تعمل عمل ليس، و"هو" ضمير منفصل في محلّ رفع اسمها ، و"من الكتاب " جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبرها "[5].

فاسم " ما " المشبّهة بـ " ليس " جاء في هذه الآية الكريمة ضميراً منفصلاً مبنيّاً في محلّ رفع.

---

[1]. سورة يوسف، آية: 31.

[2]. المبرّد,أبو العباس محمد بن يزيد. المقتضب،تحقيق:محمد عبدالخالق عظيمه,دار عالم الكتب. ج: 4، ص: 188، والأنباري,كمال الدين أبي البركات عبدالرحمن بن أبي الوفاء (1957م).أسرار العربيّة،تحقيق:محمدالبيطار,مطبعة الترقي,دمشق-سوريا. ص: 143.

[3]. ابن يعيش. شرح المفصّل، ج: 1، ص: 108.

[4]. سورة آل عمران، آية: 78.

[5]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 545.

والضّمير " هوإنّما جاء زيادة على تقدير المعنى، أ ي أنّـه أتـى للتّوكيد والتّوضيح، ويسمّى هذا النّوع من الزّيادة زيادة التّقدير [1]، وقد قصد الله تعالى بـ " الكتاب " في هذه الآية الكريمة التّوراة كتاب اليهود[2].

ويقول السّيوطي حول التّكرار الظّاهري في هذه الآية الكريمة : " قَالَ الرَّاغِبُ: الْكِتَابُ الْأَوَّلُ مَا كَتَبُوهُ بِأَيْدِيهِمُ المذكور فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ}، والكتاب الثّاني التّوراة ، والثّالث الجنس ، أَيْ مَا هُوَ مِنْ شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ "[3].

ويمكننا أن نرى بعض الملامح البلا غيّة في ما ذُكر، فكلام السّيوطي يعني أنّ هذا التّكرار جاء لمعنى في نصّ الآية الكريمة بعد تمامها، حين قال سبحانه : " وما هو من الكتاب "، لذا بيّن السّيوطي المقصد من هذا التّكرار.

وكذلك فإنّ استعمال الأسلوب القرآنيّ لـ " ما " الحجازيّة دون غيرها من أدوات النّفيّ فيه شيء من البلاغة، إذ لو استعمل الأسلوب القرآنيّ أداة النّفيّ " ليس " لكان الأمر على غير ما بد ا عليه مع " ما " الحجازيّة، إذ لا نجد هذا التّركيب في القرآن الكريم، أي أنّنا لا نجد في كتاب الله تعالى استعمالاً مثل : " ليس هو "، في حين أنّنا نجد " ما هو " كثيراً في كتاب الله تعالى، مما يجعل من استعمال " ما " أكثر بلاغة من استعمال " ليس " مثلاً.

أمّا جعل الضّمير المنفصل " هو "؛ ليكون اسم " ما " المشبّهة ب "ليس"، فقد جعل الجملة على ارتباط بالمعنى السّابق لها، ومن هنا فإنّ هذا الضّمير قد أوجد ربْطاً تركيبيّاً في هذه الجملة مع غيرها من الجمل الّتي سبقتها، في حين لو كان استعمال " ليس " لم يتسنَّ لنا أن نرى هذا الملمح بوضوح في هذه الجملة.

---

[1]. الزّركشيّ,أبو عبدالله محمد بن عبدالله(1957م). البرهان في علوم القرآن،تحقيق:محمد أبو الفاضل الابراهيمي,دار إحياء الكتب العربية,عيسى الباب الحلبي وشركاؤه.الطبعة الاولى, ج: 2، ص: 488.

[2]. الفيروز آبادي. بصائر ذوي التّمييز، ج: 4، ص: 331.

[3]. السّيوطي. الإتقان في علوم القرآن، ج: 3، ص: 228.

وأنتقل إلى موضع آخر في سورة آل عمران، إذ يقول الله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99)﴾[1].

تذكر بعض المصادر أنّ " ما " في هذه الآية الكريمة حجازيّة، ويترتّب على ذلك أن يكون لفظ الجلالة الّذي يليها اسمها المرفوع، وإعراب هذه الآية الكريمة : " الواو" للحال، و"ما" نافية حجازيّة، و"الله "اسمها المرفوع ، و"الباء" حرف جرّ زائد، و"غافل" مجرور لفظاً منصوب محلاًّ؛ لأنّه خبر "ما"، و"عمّا" جارّ ومجرور متعلّقان "غافل"، وجملة" تعملون" صلة ما الموصوليّة "[2].

و من النّص السّابق يمكننا القول بأنّ الحالة التركيبيّة الّتي أتت عليها هذه الجملة في الآية الكريمة واضحة، فالمسألة تتعلق بأنّ اسم " ما " الحجازيّة المرفوع أتى اسماً ظاهراً، وهو لفظ الجلالة " الله "، في حين أنّنا نرى الوجه الّذي جعله العلماء استدلالاً على شبَه " ما " الحجازية بـ " ليس "، وهو أن يحسن دخول الباء في خبرها، كما يحسن دخول الباء في خبر " ليس ".

وقد أسهمت الباء في صياغة هذا المعنى وجعله أكثر بلاغة، فهي تفيد التّوكيد، وتؤدّي هذا المعنى في الجملة كاملة لا في خبرها فحسب، ففرق كبير بين قولنا: " وما الله بغافلٍ "، وقولنا: " وما اللهُ غافلاً "، فالأولى أكثر توكيداً من الثّانية، فحاشاه أن يتّصف بذلك وهو العالم بكلّ شيء.

وهكذا نجد أنّ ورود " ما " الحجازيّة في سورة آل عمران خصوصاً، لم يأتِ على سبيل الشّيوع الّذي تأتي عليه كان " وأخواتها مثلاً، أو " إنّ " وأخواتها، كما أنّ الّتي وردت كانت " ما " الحجازيّة فقط، ولم ترد أي من " لا، ولات، وإنْ " المشبّهات بـ " ليس " في سورة آل عمران.

وكان من المفترض أن نورد في هذه الصّفحات حديثاً عن خبر أفعال المقاربة والشّروع والرّجاء، غير أنّنا لم نجد شواهد على هذه الأفعال، والّتي تعمل عمل "

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 99.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 2، ص: 6.

كان "وأخواتها، ومن هنا أدخلنا " لا " الّتي لنفي الجنس والأحرف المــشبّهات بـــــ "ليس " في مبحث النّواسخ.

الفصل الثالث

الفاعل ونائب الفاعل والتّوابع

1.3 الفاعل

يقول الجرجانيّ : " فالفاعل هو ما أُسنِد إليه فعل أو شبهه على جهة قيامه به، أي على جهة قيام الفعل بالفاعل، ليخرج عنه مفعول ما لم يسمَّ فاعله "[1].

ومن العلماء من جعل للفاعل حدّاً فحواه :"أنّه هو ما تقدّم عليه مسند كالفعل وشبهه، وبالتّالي فإنّ الفاعل يكون متأخّراً عن هذا المسند، سواء أكان فعلاً أم غيره، ونقصد بغيره المشتقّات الّتي تدخل في هذا الإطار، كاسم الفاعل، والصّفة المشبّهة وغيرهما[2].

وحقّ الفاعل الرّفع، فلا يجوز أن يأتي منصوباً أو مجروراً، فهو في ذلك كالمبتدأ والخبر، يقول المبرّد : " " ... وإنّما كان الفاعل رفعاً لأنّه هو والفعل جملة يحسن عليها السّكوت...فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر "[3].

فالفاعل مع فعله هما عمدتا الجملة الفعليّة ،وركناها الأساسيّان، ولا تقوم إلاّ بوجود هذين العنصرين - الفعل والفاعل - ،ومن غيرهما فإنّ الجملة ليست بصحيحة، بل إذا فُقد أحدهما ، وجب تقديره، فالفاعل يحذف ويقدّر بضمير مستتر، والفعل يُحذَف ويقدّر بفعل مضمر يفسّره الفعل المذكور.

وبعد هذه ا للّمحة الموجزة ، ننتقل للحديث عن الدّراسة التركيبيّة البلاغيّة للفاعل في كتاب الله تعالى، آخذين نموذجاً على هذا العنصر التركيبيّ في الجملة العربيّة من سورة آل عمران، وقد وجدنا أنّ الفاعل في هذه السّورة ينحصر في ثلاثة أنواع تركيبيّة:

---

[1]. الجرجانيّ,علي بن محمد بن علي(1983م). كتاب التّعريفات، تحقيق:مجموعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية, بيروت-لبنان,الطبعة الأولى. ص: 170 ــ 171.

[2]. الّزمخشريّ. المفصّل في صنعة الإعراب، ص: 25.

[3]. المبرّد. المقتضب، ج: 1، ص: 8، والزّمخشريّ. المفصّل في صنعة الإعراب، ص: 25.

1 . الفاعل اسماً ظاهراً.
2 . الفاعل ضميراً متّصلاً.
3 . الفاعل ضميراً مستتراً.

هذا من ناحية، أما النّاحيّة الأخرى الّتي تدخل ضمن دائرة هـذه الدّراسـة ، فتتمثّل في حالات التّقديم والتّأخير بين الفاعل والمفعول به والفعل، وقد أفردنا لهـذه الحالات عنواناً خاصّاً في هذا الفصل سندرسه لاحقاً، و فيما يأتي سندرس الحـالات الّتي يأتي عليها الفاعل في سورة آل عمران.

الفاعل اسماً ظاهراً:

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾[1].

فالفاعل في الآية هو " شيء "، وهو اسم ظاهر، إذ أشار الـشّيخ محيـي الدّين درويش إلى أنّ " شيء " هي الفاعل في هـذه الـجملة، أمّـا الجملة كاملـة ،فهي واقعة في محلّ رفع خبر لـ " إنّ "[2].

يقول الطّبري في تفسير هذه الآية الكريمة : " يعني بذلك جلّ ثناؤه: أنّ الله لا يخفى عليه شيء هو في الأرض ولا شيء هو في السّماء. يقول: فكيـف يخفـى عليّ يا محمّدُ - وأنا علاّمُ جميع الأشياء - ما يُضَاهى به هؤلاء الّذين يجادلونك في آيات الله من نصارى نجران في عيسى ابن مريم، في مقالتهم الّتي يقولونها فيه؟!"[3].

ويقول الزّجاج في معانيه: " ومعنى إنّ الله لا يخفى عليه شيء، أي هو ظاهر له، وهو جلَّ وعَزَّ أنشأه "[4]، فهو يختصّ بعلم الله تعالى بكلّ شيء من مخلوقاته.

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 5.
[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 455.
[3]. الطبري. جامع البيان، ج: 6، ص: 166.
[4]. الزجاج. معاني القرآن، ج: 1، ص: 475.

و شبه الجملة " عليه " قد تقدّمت على الفاعل " شيء " في السّياق، وهذا يعني أنّ الأسلوب القرآنيّ يقدّم الضّمير العائد إلى لفظ الجلالة " الله "، في إشارة إلى أهميّة المعنى المنوط بهذه الجملة، وهو معنى العلم الكلّي لله تعالى.

ثمّ إنّ الآية الكريمة جاءت بإسناد الخفاء لـ " شيء "، وكأنّ الشّيء هو الّذي يقوم بفعل الخفاء، والواقع أنّ كثيراً من الأشياء تُخفى ولا تَخفى، أي أنّ فعل الخفاء يقع عليها وليس منها، ولكنّ الله تعالى أسند الخفاء للشّيء ؛ليبيّن لنا أنّ الشّيء خفيٌّ بذاته دون أن يتدخّل أحد في إخفائه، و بناءً على هذا المعنى يكون الله تعالى عالم بالأشياء الّتي نعلمها ونخفيها، وبالأشياء الّتي تخفى علينا ولا نعلمها، ومن هنا يأتي الجمال البلاغيّ في إسناد هذا الفعل إلى فاعله.

وفي موضع آخر يقول الحقُّ جلَّ وعلا :"إنَّ الّذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الّله شيئاً ".

ومعنى الآية أنّ أموالكم وأولادكم لا تغني عنكم شيئاً ، وفي اللّغة يُقال : هذا الشّيء لا يغني، أي أنه يظلّ محتاجاً إلى غيره، لأنّ الغنى هو ألاّ تحتاج إلى الغير.

والأموال هي المكاسب الّتي تقتات وتدّخر ويُتعاوض بها، وهي جمع مال، والظّاهر أنّ هذا وعيد بعذاب الدّنيا.

وكان المنافقون من أهل الثّراء بالمدينة،وكان ثراؤهم من أسباب إعراضهم عن قبول الإسلام؛لأنّهم أهل سيادة ، فلم يرضوا بأن يصبحوا في طبقة العموم . وكان عبد الله بن سلول مهيّأً لأن يملّكوه على المدينة قبيل إسلام الأنصار ، فكانوا يفخرون على المسلمين بكثرة الأموال والعشائر وذلك في السنة الأولى من الهجرة، ومن ذلك قول عبد الله بن سلول: "لئن رجعنا ليخرجنّ الأعزّ منها الأذل " ، يريد بالأعزّ فريقه وبالأذلّ فريق المسلمين ، فآذنهم الله بأنّ أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم ممّا توعّدهم الله به من المذلّة.

وقد أتى الفاعل اسماً ظاهراً لمناسبة السّياق القرآنيّ العظيم، ولعِظم المعنى الّذي يعبّر عنه؛وليكون أشدّ وقعاً وتذكيراً لهؤلاء المتعالين على اللّه بأموالهم متجاهلين أنّ أنفسهم، وأموالهم ،وأولادهم هي ملكٌ للحقّ تبارك وتعالى . وقد خصّ الأموال والأولاد من بين أعلاق الّذين كفروا ؛ لأنّ الغناء يكون بالفداء بالمال كدفع الدّيّات

والغرامات ؛ ولأنّ المال هو من أحبّ الأملاك لدى الإنسان ، وأكثرها فتناً، فمن أجله قد يكذب الإنسان ، وقد يقتل ، وقد يرتكب الموبقات.[1]

فالخطاب موجّه إلى أهل الكفر جميعاً - قديماً وحديثاً - الّذين كفروا ونافقوا ؛ظنّاً منهم أنّ أموالهم وأولادهم تدفع عنهم عذاب اللّه تعالى، متناسين قوله تعالى:"وقَدِمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً".[2]

وفي موضع آخر يقول عزّ من قائل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11) ﴾.[3]

يقول درويش في إعراب هذه الآية: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ ، "الفاء" عاطفة، و"أخذهم الله" فعل ومفعول به وفاعل والجار والمجرور متعلّقان ب "أخذهم" فتكون الباء للسّببيّة ،أو بمحذوف حال، أو للملابسة أي متلبّسين بذنوبهم ".[4]

ويقول الطّبري في تفسير هذا الجزء من الآية الكريمة : " فأخذناهم بذنوبهم فأهلكناهم حين كذبوا بآياتنا، فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئًا حين جاءهم بأسنا ".[5]

فالذّنوب هي السّبب الكامن وراء أخذ هؤلاء الكافرين، وقد ورد المفعول به في السّياق متقدّماً على الفاعل، فالضّمير المتّصل " هم "، مفعول به، ولفظ الجلالة " الله " فاعل للفعل " أخذ "، إذن فما الدّلالة المبتغاة من هذا التّقديم؟

إنّ تقديم المفعول به على الفاعل في الآية الكريمة يُبيّن مدى سرعة انتقام الله عزّ وجلّ لأنبيائه، و أنّ العذاب قريب من الكافرين، إضافة إلى أنّ التّقديم في اللّغة يكون للأهميّة، يقول سيبويه :" كأنّهم يقدّمون الّذي بيانه أهمّ ، وهم ببيانه أعنى وإن

---

[1] الشعراوي, تفسير الشعراوي-خواطر,ج:2,ص:1288.
[2] .سورة الفرقان,اية:23
[3]. سورة آل عمران، آية: 11.
[4]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 463.
[5]. الطبري. جامع البيان، ج: 6، ص: 223، و الزجاج. معاني القرآن وإعرابه، ج: 1، ص: 380، وابن أبي زمنين. تفسير القرآن العزيز، ج: 1، ص: 277.

كانا جميعاً يهمّانهم ويعنيانهم "[1]. فما كان مهمّاً يستدعي الانتباه ،فإنّ النّص يُقدّمــه، وهذا ما نراه في الآية، حيث قدّم الأسلوب القرآني المفعول به ؛لكي يبـيّن مـدى الأهميّة الّتي يعنيها الله تعالى في حالة وقوع الذّنوب من عباده.

أمّا الفاعل فقد أتى اسما ظاهرةً ولم يأتِ ضميراً أو محذوفاً؛ فـ ذلك لـزرع الرّعب والخوف في نفوس هؤلاء الكفرة. وقد جيء بالاسم العلم ؛ لتربية المهابة عند سماعه ولتهويل المؤاخذة والعذاب والجزاء، وأنّه جلّ وعلا شديد الأخذ ، لا يمتنع منه أحدٌ ولا يفوته شيء بـل فعّالٌ لما يريد ، قد ذلَّ له كلّ شـيء ، وهـو الّـذي سيأخذهم بذنوبهم ، وأيّ أخذٍ سيكون هذا وهو من الملك الأعظم الّذي لاتثنيه قوّة .

فإظهار لفظ الجلالة في هذا السّياق -وهو الفاعل- كأنّه وعيدٌ وتهديد ،ولكن بـشكل غير مباشر ، أي بالإيماء والإشارة ، فما أن يُـذكر أنّ العـذاب والأخـذ مـن الله ، فسيُعلم يقيناً قوّة هذا الأخذ وعوائده.

ومن جانب آخر ، فإنّ الذّنب الّذي قاموا به يستحقّ أن يكون الأخذ بسببه من الله ، أي أن يظهر معه لفظ الجلالة ، فهم على دأبٍ مستمرّ، والـدّأب هـو العمـل المستمرّ، وكان دأب آل فرعون هو التّكذيب والطّغيان ، وادّعاء فرعون الألوهيّة ، فإذا كانوا قد اعتادوا الكفر والتّكذيب ، فهم يستحقّون أن يوقعاللّه بهم العـذاب فـي الدّنيا ، ولأنّ اسم الله ظاهر فقد كان من الحكمة أن يكون هناك عدل، فالعقاب يقـع بعد الذّنب ، وبعد ضرب هذا المثل ؛ليكون لهم عبرة وموعظة.

والمواضع التركيبيّة الشّبيهة بهذا الموضع كثيرة في السّورة الكريمة ، أكتفي بعرض هذين المثالين منها[2].

الفاعل ضميراً متّصلاً:

وهذه الحالة عليها كثير من الأمثلة والشّواهد فـي الـسّورة، إذ يقـول الله سبحانه وتعالى:﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ

---

[1] سيبويه,الكتاب. طبعة عبدالسّلام هارون,ج1.ص:34

[2] سورة آل عمران,الآيات: 18 , 22 ,30 ,35.

(3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4) ﴾[1].

فالآية الكريمة تحوي فاعلاً جاء على صورة ضمير رفع متّصل، وهو الواو في " كفروا "، وهذه الجملة واقعة في صلة الموصول، فهي إذن لا محلّ لها من الإعراب[2].

وهذا التّذييل استئناف مُمَهّدٌ إليه بقوله: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ ؛لأنّ نفس السّامع تتطلّع إلى معرفة الّذين أنكروا هذا التّذييل.

أمّا الإتيان بالفاعل على صورة ضمير الجماعة فهو ؛ليكون إنذاراً لأصحاب الكتب السّماوية كافّةً من مسلمين ويهود ونصارى، فالتّوراة والإنجيل فيهما هدايةٌ للمسلمين أيضاً، لكن شريطة تصديق القرآن لها، وما دام القرآن قد صدّقها فقد وجب على المسلمين الإيمان بها ، ومن يكفر بعد تصديق القرآن لها فقد أعدّ الله له العذاب الأليم.

وحين ننظر لهذه الآية تركيبيّاً، فإنّها جاءت على النّسق العامّ الّذي تأتي عليه الجمل الفعليّة في صلة الموصول، فهي لا محلّ لها من الإعراب، وهذا الضّمير عائد إلى الاسم الموصول، ومن هنا فإنّ هذا الضّمير يُوجد ترابطاً في تركيب الجملة، فيكون بذلك مسهماً في صياغة المعنى، وهو أيضاً لا مفرّ من أن يأتي ضميراً، فلا يمكننا أن نأتي باسم ظاهر مثلاً من أجل الوصول إلى المعنى ذاته في هذه الآية الكريمة، ومن هنا تبرز القيمة الدلاليّة والبلاغيّة لهذا الضّمير في الجملة.

وأنتقل للحديث عن موضع آخر من السورة؛ إذ يقول الله سبحانه وتعالى: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (13))[3].

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 4.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 454 ـ 455، وصافي. الجدول في إعراب القرآن، ج: 3، ص: 107.

[3]. سورة آل عمران، آية: 13.

و الآية الكريمة تحوي جملة فعليّة فعلها ماضٍ، وفاعله ضمير متّصل، وهو أحد ضمائر الرّفع المتّصلة، و يدلّ على مثنى، يقول درويش في إعراب هذه الجملة من الآية الكريمة : "(قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ) الجملة داخلة في حيّز القول السّابق أي قل لليهود:ستغلبون وقل لهم : قد كان ،وقيل: هي عامّة وإنّ الخطاب لجميع الكفّار فتكون مستأنفة أو لجميع المؤمنين، والعبرة لا تختصّ بأحد، و "قد"حرف تحقيق ، و"كان" فعل ماض ناقص، و"لكم" جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر كان المقدّم، و"آية" اسمها المؤخّر (فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا) الجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف صفة لآية، و"جملة التقتا" صفة للفئتين ،"والتاء" تاء التّأنيث السّاكنة وحُرِّكت بالفتحة لمناسبة ألف الاثنين الّتي هي فاعل وقد كان ذلك اللّقاء يوم بدر "[1].

يقول القرطبيّ مفسّراً هذه الآية الكريمة : " قال أبو جعفر: فكلّ هذه الأخبار تنبئ عن أنّ المخاطبين بقوله:"ستغلبون وتحشرون إلى جهنّم وبئس المهاد"، هم اليهود المقولُ لهم:"قد كان لكم آية في فئتين"، الآية - وتدلّ على أنّ قراءَة ذلك بالتّاء، أولى من قراءته بالياء "[2].

والآية المقصودة في النّص القرآنيّ علامة، أي أنّ ما سيحصل مع المؤمنين والمشركين في بدر علامة على نبوّة محمّد - صلّى الله عليه وسلم - والفئة في اللّغة تُطلق على الجماعة[3].

فالتّركيب مكوّنٌ من عنصرين : الفعل الّذي يشتمل على ضمير المثنّى للرّفع، وهو الفاعل لهذا الفعل، وهو عائد أيضاً إلى متقدّم لفظاً، وهو " فئتين "، ومن هنا يظهر التّرابط بين الكلمات في هذه الآية الكريمة، والضّمير الواقع في محلّ رفع فاعل يصلح هو فقط للوقوع في هذا الموقع، ولا يمكن مثلاً لاسم ظاهر أن يحلّ محلّه في هذا التّركيب، فهو أبلغ للاختصار وعدم التكرار، و هو الّذي يؤدّي المعنى في مكانه هذا، ومن هنا تبرز القيمة الدّلاليّة للفاعل في جملته السّابقة، إذ يخلق ترابطاً في النّص بين الكلمات.

---

[1]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 465.
[2]. القرطبي. جامع البيان، ج: 6، ص: 229.
[3]. الزجاج. معاني القرآن وإعرابه، ج: 1، ص: 380 – 381.

وقد احتوت سورة آل عمران أمثلة كثيرة على الفاعل في حال كونه ضميراً متّصلاً، غير أنّنا نكتفي بهذا القدر من الأمثلة، فالقيمة الدّلاليّة والبلاغيّة الّتي احتوتها مثل هذه الجمل في أغلبها ترتكز على التّرابط بين كلمات النّص القرآنيّ[1].

وننتقل فيما هو آتٍ للحديث عن حالة أخرى من حالات الفاعل في سورة آل عمران.

الفاعل ضميراً مستتراً:

وهي الحالة الثّالثة الّتي يأتي عليها الفاعل في سورة آل عمران بشكل خاصّ، وفي القرآن الكريم بشكل عام، فهناك عدد كبير من الأمثلة والشّواهد احتوت أفعالاً، الفاعل فيها ضمير مستتر، و سنقوم ببحث بعض النّماذج القرآنيّة على هذه الحالة.

يقول الله تعالى في محكم تنزيله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3)﴾ [2].

فالآية الكريمة تحوي فعلاً ماضياً، هو " نزّل " و فاعله ضمير مستتر مقدّر، عائد إلى لفظ الجلالة " الله " في الآية السّابقة لهذه الآية: ﴿الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾(2)[3]، و إعراب هذه الآية : " الجملة خبر رابع ل «الله»، أو خبر ثان إن جعلنا الحيّ القيّوم خبرين لمبتدأ محذوف . و"نزّل"فعل ماض مبنيّ على الفتح، و"عليك" متعلّقان ب "نزّل"، و"الكتاب" مفعول به، و"بالحقّ" جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف حال من الكتاب أي متلبّساً بالحقّ "[4].

وقدّم الجارّ والمجرور على المفعول للاختصاص؛ ولبشارة النّبي – صلّى الله عليه وسلّم- باختصاصه الإنزال دون غيره من أفراد هذه الأمّة دون العالمين في هذا الزمن.

يقول الطّبري في تفسير الآية الكريمة : " قال أبو جعفر: يقول جلّ ثناؤه: يا محمّد، إنّ ربّك وربَّ عيسى وربَّ كلّ شيء، هو الرّبّ الّذي أنزل عليك الكتاب –

---

1 .سورة آل عمران, الآيات.35, 44, 49, 52.

[2]. سورة آل عمران، آية: 3.

[3]. سورة آل عمران، آية: 2.

[4]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 454.

يعني بـــ"الكتاب" القرآن ـــ "بالحقّ" يعني: بالصّدق فيما اختلف فيـــه أهـــل التّـــوراة والإنجيل، وفيما خالفك فيه محاجُّوك من نصارى أهل نجران وسائر أهـــل الـــشّرك غيرهم ".[1]

فالخطاب في الآية الكريمة موجّه للنّبيّ - صلّى الله عليـــه وسـلّم - فهـــو المبعوث من الله تعالى، وهو الّذي نزّل الله تعالى عليه الكتاب.

وحين ننظر في الآية الكريمة نجد أنّ الفاعل قد تكرّر بهذا الشّكل غير مـــرّة في الآية، حيث قال سبحانه : " وأنزل التّوراة والإنجيل " في الآيـــة نفـــسها، وهمـــا يعودان إلى لفظ الجلالة " الله " في الآية الثّانية من سورة آل عمران، وتوالي هـــذه الضّمائر العائدة إلى لفظ الجلالة يعني إبراز فضله سبحانه وتعالى على النّاس مـــن يهود بإنزال كتابهم التّوراة، ومسيحيين بإنزال الإنجيل، ومـــسلمين بـــإنزال كتـــابهم القرآن، وقد استغنى الأسلوب القرآنيّ عن تكريرالفاعل في كل ّفعل ؛ لعلم المتلقي مسبقاً أنّ مَن يفعل هذه الأمور العظيمة هو الله تعالى ولا أحد غيره ، والدّليل علـــى ذلك هو مجيء المسند فعلاً للدّلالة على الاختصاص :أي الله لا أحد غيره نزّل عليك الكتاب ؛إبطالاً لقول المشركين :إن القرآن من كلام الشّيطان،أو من طرائق الكهانة ، أو يعلّمه بشر. ومن هنا تظهر القيمة البلاغيّة في هذا الاستعمال[2].

وقد يكون الغرض البلاغيّ من استتار الضّمير هو تقرير وحدة الجهة الّتي تتنـــزّل منها الكتب السّماويّة على الرّسل ، فالله الّذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم ، هو الّـــذي نزّل هذا القرآن عليك ، كما أنّه أنزل التّوراة على موسى، والإنجيل على عيـــسى، فهناك إله واحد ينزّل الكتب على المختارين من عباده .فالكتاب إذن مُنزَل من الجهة الّتي لها حقّ التّنزيل ، وحقّ وضع منهاج الحياة للبشر ، وبناء تصوّراتهم الاعتقاديّة وشرائعهم.

وقد استعمل السّياق القرآنيّ صيغة التّضعيف "نزّل" للقرآن الكريم، بينما ورد الفعل "أنزل" مع التّوراة والإنجيل، وللعلماء في ذلك أقوال عدّة منها:

---

1. الطبري. جامع البيان، ج: 6، ص: 160، الماوردي. النّكت والعيون، ج: ، ص: 367 ـــ 368.

2 .ابن عاشور.التّحريروالتّنوير,ج3.ص:1473.

يقول الزمخشري:"فإن قلت: لم قيل :"نزل عليك الكتاب وأنزل التوراة والانجيل"قلت: لأن القرآن نزل منجّماً، ونزل الكتابان جملة "وقد قال بذلك أيضاً في الجامع لأحكام القرآن"[1].

و أنتقل فيما هو آت إلى موضع آخر من سورة آل عمران، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(12)﴾[2].

يقول درويش في إعراب هذه الآية الكريمة : " و"قل" فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر يعود إلى النّبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أي أنت . و"للّذين" جارّ ومجرور متعلّقان ب "قل"، وجملة "كفروا" لا محلّ لها لأنّها صلة الموصول "[3].

وهذه الآية الكريمة نزلت في اليهود الّذين لمّا رأوا الرّسول - صلّى الله عليه وسلّم- ومن معه قد انتصروا في بدر قالوا : هذا والله لا تُرَدّ له راية، ولكن بعضهم استبطأهم وقال: انتظروا حتى تكون له وقعة أخرى مع المشركين، فالله تعالى يأمر نبيّه أن يقول للكافرين بأنّهم سيغلبون ، ويقتلون، ثم يحشرون إلى جهنّم وبئس المقرّ، ومن هنا نزلت الآية، وهي تُقرأ بوجهين : " ستُغلبون، وسيُغلبون " فمن قرأ بالياء، أدخل المشركين فقط في الحكم، وأمّا من قرأ بالتّاء فقد أدخل المشركين واليهود في الحكم الّذي تقرّره الآية[4].

وهذا الاستتار الوجوبي إنّ ما يدخل في دائرة الحذف في اللّغة العربية، والحذف- كما نعلم - لون من ألوان البلاغة ، وهو يقود إلى معانٍ قد لا يقود إليها الذكر، يقول عبد القاهر الجرجانيّ في الحذف :" هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر أفصح ، والصّمت

---

[1].ابن عاشور.التّحريروالتّنوير,ج3,ص:1473

[2]. سورة آل عمران، آية: 12.

[3]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 464.

[4]. الفرّاء. معاني القرآن، ج: 1، ص: 191، وابن زنجلة,أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد.حجة القراءات،تحقيق:سعيدالافغاني, دار الرّسالة, ص: 153.

عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تبن "[1]". فاستتار الفاعل هنا ناجم عن الخطاب الموجّه له، فالله سبحانه وتعالى يخاطب نبيّه الكريم، ومن هنا فإنّ الفاعل قد استتر بناء على هذا الخطاب، فلا يعقل أن يكون المخاطِب يخاطب المُخاطَب بفعل أمر ويأتي بالفاعل، فالكلام موجّه للفاعل مباشرةً، ومن هنا يظهر لنا الملمح البلاغيّ في الآية الكريمة.

و قد يكون استتار الفاعل وجوباً لأنّه معروف يقينا أنّ المبلِّغ عن الله تعالى هو النّبي -عليه السّلام-وخاصّةً أنّه أبلغهم نصّ البلاغ الّذي أبلغه الله إيّاه.

وقد يكون الغرض البلاغيّ من استتار الضّمير هو أن تُتّخذ الآية شاهداً عامّاً يَستشهد به كلُّ مسلم تجاه الكفرة والمجادلين وأعداء الإسلام الّذين يقولون إنّ هذه الآية موجّهة لمحمّد فقط، وفي زمنه خاصّة، وفي موقعة محدّدة، فالأمر غير ذلك ، فما أمر به النّبي - عليه السّلام - هو أمر لكلّ مسلم في كلّ زمان ومكان،أي وكأنّ الآية هي أمر لكلّ مسلم أن يقول لأعداء الله تعالى الّذين يتحدّون الإسلام :ستُغلبون وتُحشرون إلى جهنّم وبئس المصير ، وإنّ الإسلام باقٍ ما بقيت السماوات والأرض.

و نكتفي بذكر هذين المثالين من كتاب الله تعالى على هذه الحالة التركيبيّة الّتي يأتي عليها الفاعل في سورة آل عمران بشكل خاصّ، وفي كتاب الله تعالى بشكل عامّ.

و الفاعل في السّورة أكثر المرفوعات وروداً على الإطلاق، فلا نكاد نجد آية إلاّ وفيها ذكر لفعل مع فاعله، ومن هنا اقتصرنا على العدد القليل من الأمثلة والشّواهد.

حالات تقديم الفاعل:

يعتري الفاعل والمفعول في جملتهما حالات من التّقديم والتّأخير بناء على تراكيب معيّنة، فتارة يتقدّم الفاعل وجوباً، وأخرى يتقدّم الفاعل جوازاً، وثالثة يتقدّم المفعول به وجوباً، ورابعة يتقدّمالمفعول به جوازاً . وقد ارتأينا في هذا الجزء من الدّراسة أن نُفرِد حديثاً خاصّاً عن حالات التّقديم والتّأخير، إذ حصرناها بالحالات

---

[2]. الجرجانيّ,دلائل الإعجاز,ص:112.

الواجبة دون الجائزة، فما كان جائز فكثير، أمّا الواجب فيمكننا حصره، وفيما يـأتي عرض هذه الدّراسة.

يتقدّم الفاعل وجوباً على المف عول به في حالات منها: إذا خيف الالتباس بـين الفاعل والمفعول ، نحو : ضرب موسى عيسى ، وإذا حصر الفاعل بـ " إنّمـا " ، نحو إنّما أكرم محمّدٌ عليّاً ، أو " ما وإلاّ "، نحو : ما أكرم محمّد إلاّ عليّاً ، وإذا كان الفاعل ضميراً متّصلاً والمفعول اسماً ظاهراً ،نحو : ساعدتُ المحتـاج، وإذا كـان الفاعل والمفعول ضميرين متّصلين ، نحو قوله تعالى :"وبالحقّ أنزلنـاهُ وبـالحقّ نَزَلَ" [1].

ويتقدّم المفعول على الفاعل إذا كان المفعول ضميراً متّصلاً والفاعل اسـماً ظاهراً، نحو:سرّني قدومك وإذا كان المفعول من الألفاظ الّتي لهـا الـصّدارة فـي الجملة، نحو : ما فعلت؟ ، وإذا كان الفاعل متّصلاً به ضمير عائد إلـى المفعـول، نحو: يحرص الوطنَ أبناؤهُ[2].

وفي موضع من مواضع تقديم الفاعل على المفعول في سورة آل عمـران، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(19)[3].

فالفعل " أسلم " اتّصل به ضمير رفع، وهذا الضمير هو الفاعل، ووجه تقديمه وجوباً أنّه جاء ضميراً متّصلاً ، والمفعول به جاء على هيئة اسم ظاهر، ومن هنا فلا يمكن تقديم المفعول به على الفاعل، إذ كيف يمكن تقديم الاسم الظّاهر على المضمر المتّصل؟.

يقول درويش في إعراب هذه الآية الكريمة: " أسلمْتُ وجهي لله، الجملة فـي محل نصب مقول القول و "أسلمتُ"فعل وفاعل و "وجهـي" مفعـول بـه و "الجـار والمجرور" متعلقان ب "أسلمت" "[4].

---

[1] .الإسراء,آية105.

[2] . الأزهري, شرح التّصريح على التّوضيح ,ج: 1، ص: 413 ـ 420.

[3] . سورة آل عمران، آية: 19.

[4] . درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 479.

وكما ذكرنا سابقاً فإنّه لا يمكن في مثل هذه الجملة أن يتقدّم المفعول به على الفاعل، وذلك للأسباب الآتية:

1 . أنّ رتبة الفاعل قبل رتبة المفعول به.

2 . أنّ الفاعل جاء ضميراً متّصلاً، وهذا يعني أنّ الفاعل يجب أن يتّصل بالفعل، ولا يمكن أن يحصل ذلك إذا كان من الجائز أن يتقدّم المفعول عليه.

ومن هنا يتبيّن المعنى البلاغيّ المنوط بهذه الآية الكريمة، والمتمثّل بتقديم الفاعل وجوباً على المفعول.

أمّا الإتيان بالفاعل على هيئة ضمير المتكلّم ، فهو أبلغ من إتيانه على هيئة الظاهر، بمعنى أنّ قوله "أسلمتُ وجهي" أبلغ من أسْلم وجهي لله "؛وذلك لأنّ معنى أسلمت وجهي:أي أنا بنفسي وذاتي وإرادتي وقوّة إيماني طوّعتُ جوارحي للخضوع والاستسلام لله تعالى، وصيّرتها عابدة خاضعة له، بحيث تكون أعمالي جميعها في مرضاته.

وقد اختار الحقّ تبارك وتعالى الوجه؛ لأنّه أشرف شيء في الإنسان، وهو مظهر الخضوع ، والسّمة العالية المميّزة الّتي تظهر عليها انفعالات الأحداث في الكون من سرور وأحزان، ومن خشوع أو شرود في الذّهن، فقد أطلق الوجه وأريد به الذّات كلّها ، يعني أسلمت ذاتي بكلّ ما أوتيت الذّات من جوارح وأعضاء .

أمّا الموضع الأخير فهو في قوله تعالى على لسان امرأة عمران : (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)(36)[1].

والحديث في هذه الآية الكريمة عن الفعل " سمّى " إذ اتّصل به ضميران، الأوّل ضمير رفع للفاعل، والثّاني ضمير نصب للمفعول، وقد أشار درويش في إعرابه إلى أنّ هذه الجملة - يعني سمّيتها - في محلّ رفع خبر " إنّ "، فهي إذن جملة تامّة مكوّنة من فعل وفاعل ومفعول به[2].

وقد تقدّم الفاعل على المفعول في الآية الكريمة للأسباب الآتية:

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 36.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 497.

1 . أنّ رتبة الفاعل قبل رتبة المفعول، فلمّا كانا ضميرين وجب تقديم الفاعل على المفعول.

2. لأنّ الضّمير الأوّل من الضّميرين ضمير رفع، والثّاني ضمير نصب، فحقّ الرّفع للفاعل، وحقّ النّصب للمفعول.

فالفاعل إذن متقدّم وجوباً على المفعول، وهذا التّقديم مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى، فلو حصل وكان تقديم المفعول جائزاً في هذه الآية ،لاختلف المعنى اختلافاً شديداً، ولكنّ وجوب التّقديم حافظ على المعنى، بالإضافة إلى أنّ التّركيب هو التّركيب الأصل في العربيّة، فلا يمكن أن يأتي الفاعل والمفعول ضميرين متّصلين إلاّ وكان تقديم الفاعل واجباً على وفق ما يقتضيه التّركيب.

ومن ناحية ثانية فقد أتى الفاعل ضميراً للمتكلّم متقدّماً على المفعول به؛ لأنّ الفاعل محور الحديث، فأمّ مريم تتحدّث في البداية عن نفسها هي ، وعن رغبتها ، ومشاعرها عند معرفتها جنس المولود، وعن رغبتها الجامحة في هبة ما في بطنها لخدمة بيت المقدس، والدّليل على ذلك استعمالها لعنصر التّوكيد (إنّ) وضمير(الياء) العائد إليها.

فالفاعل هنا أتى على هذه الصّورة، ولم يحذف مثلاً ،أو يأت ضمير جماعة، أو اسماً ظاهراً ، إنّما جاء مفرداً متكلّماً يعود إلى أمّ مريم ؛ تأكيداً لحرصها ورغبتها في تقديم بصمة واضحة لدين الله تعالى ، وهي نذر مولودها لبيت المقدس، وأنّها هي نفسها الّتي اختارت هذا الاسم (مريم)ليكون لها نصيبٌ من اسمها ، وهو يعني في لغتهم (العابدة)[1].

وقد وردت بعض الحالات في سورة آل عمران تقدّم فيها المفعول به على الفاعل وجوباً، وذلك من مثل قوله تعالى :(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (7)[2].

---

1 .الشّعراوي, تفسير الشّعراوي-الخواطر,ج3,ص:1437.

2. سورة آل عمران، آية: 7.

فالآية الكريمة تحوي جملة تقدّم فيها المفعول على الفاعل وجوباً، والمفعول في الآية الكريمة هو " تأويل "، أمّا الفاعل فهو لفظ الجلالة " الله "، والسّبب الّذي جعل المفعول به يتقدّم وجوباً على الفاعل هو الحصر، يقول درويش في إعراب هذه الآية الكريمة: "

والآية تتحدّث عن آيات القرآن الكريم، فمنها أمّ الكتاب، ومنها ما هو محكم، وهناك من يحاول تأويل هذه الآيات، ثمّ حصر الله تعالى علم تأويل القرآن على وجهه الصّحيح بنفسه ، فهو القادر على تأويل الكتاب العزيز[1].

والمعنى المرتبط بهذا التّقديم للمفعول على الفاعل لا يمكن أن يكون على الوجه المطلوب إلاّ من خلال هذا التّركيب، فقد حُصرت معرفة تأويل القرآن الكريم بالله عزّ وجلّ، وهو معنى مختلف عن قولنا مثلاً : ويعلم الله تأويله، فإنّ هذه الجملة جملة إخباريّة عاديّة، أمّا قولنا: وما يعلم تأويله إلاّ الله، فلقد تضمّنت الجملة معنيين هما:

أ . أنّ الله يعلم تأويل كتابه من محكم ومتشابه وأمّ الكتاب.

ب . أنّه لا أحد غيره يعلم ذلك.

إضافة إلى أنّ الحصر قد أدخل توكيداً على هذا المعنى المرتبط بالآية الكريمة، فالحصر والقصر - كما نعلم - أسلوبان من أساليب التوكيد المعنوية.

أمّا تقديم المفعول به على الفاعل ، فلبيان أهميّة المفعول، فتأويل آيات القرآن أمر مهمّ جدّاً في حياة المسلم، ولبيان هذه الأهميّة الكبرى جاء الله تعالى بهذا التّركيب الّذي يتقدّم فيه المفعول به على الفاعل وجوباً.

وننتقل إلىآية أخرى تقدّم فيها المفعول به على الفاعل وجوباً من سورة آل عمران، يقول الله سبحانه وتعالى :﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)(28)[2].

---

1. الطّبري. جامع البيان، ج: 6، ص: 194، والماوردي. النّكت والعيون، ج: 1، ص: 396.

2. سورة آل عمران، آية: 28.

فالحقّ سبحانه وتعالى يبيّن لنا في هذا النّظم الرّبّانيّ الكريم أنّ كلّ نفس ستجد ما عملته في سالف أيّامها في الدّنيا من خير أو شرّ، فإن كان صالحاً تمنّى أن يكون قد ازداد من الأعمال الصّالحة، وإن كان مسيئاً تمنّى لو أنّ بينه وبين هذا اليوم الرّهيب أمداً بعيداً.

يقول درويش في إعراب هذه الآية الكريمة : " ويحذّركم الله نفسه، "الواو" استئنافية و"يحذّركم" فعل مضارع و"الكاف" مفعول به و"الله " فاعل و"نفسه" مفعول به ثان ليحذّركم لأنّه في الأصل يتعدّى لواحد فازداد بالتّضعيف آخر "[1].

و هذه الآية يتجلّى فيها موطنان من مواطن التّقديم والتّأخير هما:

1 . تقديم المفعول به الأوّل وجوباً على الفاعل.

2 . تقديم الفاعل وجوباً على المفعول به الثّاني.

أمّا تقديم المفعول به الأوّل على الفاعل وجوباً ، فهو لأنّ الفاعل اسم ظاهر متمثّل بلفظ الجلالة " الله"أمّا المفعول به الأوّل ، فهو ضمير متّصل، ولا يمكن تركيبيّاً أن يكون الضّمير بعد الظّاهر في مثل هذه الآية، ومن هنا فقد تقدّم المفعول به الأوّل على الفاعل، وهذا التّقديم إنّما كان لبيان أهمّيّة الأمر المراد ذكره في الآية الكريمة، فقدّم الله تعالى المفعول به ليجعل لهذا المفعول أهميّة مرتبطة بالمعنى.

أمّا تقديم الفاعل على المفعول به الثّاني وجوباً فكان بسبب اتّصال المفعول به الثّاني بضمير عائد إلى الفاعل، فالمفعول به الثّاني " نفسَهُ " ارتبط به ضمير عائد إلى لفظ الجلالة " الله "، ومن هنا فإنّ الضّمير لا يعود إلى متأخّر، بل يتوّجب أن يعود الضّمير إلى متقدّم رتبة ولفظاً.

وبعد أن انتهينا من الحديث عن هذا المبحث من هذا الفصل تبيّن لنا أنّ الفاعل أكثر المرفوعات وروداً في كتاب الله تعالى، وذلك من خلال وجوده بشكل كبير جدّاً في سورة آل عمران، وربّما كان ذلك لأنّ الدّين هو واقع عمليّ ومنهج حياة، وهذا الواقع يحتاج إلى فاعل يطبّقه .

---

[1]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 488 ــ 489.

نائب الفاعل:

يأتي نائب الفاعل مرفوعاً، ويأخذ ما للفاعل من أحكام، سواء الذّكر وعدم الحذف، وحالات التقديم والتأخير، أم غير ذلك من أحكام الفاعل[1].

ومن الأمور المتعلّقة بنائب الفاعل أنّ الفاعل يُحذف للمّسبب لفظيّ، أو لسبب معنويّ، ويقوم المفعولبه إن وُجد مقام الفاعل، أو يقوم غيره إن لم يكن موجوداً[2].

ويبنى من الأفعال العربيّة للمجهول الماضي والمضارع، أمّا الأمر فلا بناء له للمجهول، ويُبنىالماضي للمجهول بضمّ الأول وكسر ما قبل الآخر، مثل : ضُرِب، ودُحرِج، أمّا الفعل المضارع فيبنى للمجهول عن طريق ضمّ الأوّل وفتح ما قبل الآخر، مثل: يُستعتَب، ويُلقى[3].

ويحذف الفاعل لأسباب هي:

" يحذف الفاعل، إمّا للعلم به، فلا حاجةَ إلى ذكره، لأنّه معروفٌ نحو ﴿وخُلِقَ الإنسان ضعيفاً﴾، وإمّا للجهل به، فلا يمكنْك تعيينُه، نحو "سُرِقَ البيتُ"، إذا لم تعرفِ السّارق، وإمّا للرّغبة في إخفائه للإبهام، نحو رُكبَ الحصانُ، إذا عرفت الرّاكب غير أنّك لم تُرد إظهاره، وإمّا للخوف عليه نحو "ضُرُب فلانٌ" إذا عرفتَ الضّاربَ غير أنّك خفت عليه، فلم تذكره، وإمّا للخوف منه، نحو "سُرِق الحصان" إذا عرفتَ السّارق فلم تذكره، خوفاً منه، لأنّه شريّ مثلاً، وإمّا لشرفه، نحو "عُمل عَملٌ منكر"، إذا عرفتَ العامل فلم تذكرهُ؛ حفظاً لشرفه، وإمّا لأنّه لا يتعلقُ بذكره فائدةٌ، نحو "وإذا حُيّيتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها أو رُدُّوها"، فذكر الذّي يقوم بالتّحيّة لا فائدةَ منه، وإنّما الغرضُ وجوبُ ردِّ التّحيّة لكلّ من يُحيِّي "[4].

---

[1]. ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 111.

[2]. السّيوطي. همع الهوامع، ج: 1، ص: 161 ــ 162، والأزهري. شرح التصريح على التوضيح، ج: 1، ص: 286، والصبان.حاشية الصبان على شرح الأشموني,ج: 2، ص: 61.

[3]. ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 112 ــ 114.

[4]. الغلاييني,مصطفى محمد(1993م). جامع الدروس العربية،المكتبة العصرية, صيدا-لبنان الطبعة الثامنة والعشرون, ج: 2، ص: 242.

يأتي نائب الفاعل على أحوال ثلاثة : الأولى: أن يكون اسماً ظاهراً نحو :مُـنِح الموظّف مكافأةً، والثّانية أن يكون ضميراً متّصلاً نحو سُرِقتُ أثناء وجودي في السّوق:، والثّالثة أن يكون ضميراً مستتراً، نحو :الكاذب لا يُسد تشهَد بإفادته، وفيما يأتي الحديث عن هذه الحالات مبيّنين بالأمثلة والشّواهد من سورة آل عمران.

نائب الفاعل اسماً ظاهراً:

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم التّنزيل : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) (14)[1].

يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة ماهيّة الشّهوات الجسمانيّة والدّنيويّة ، وكيفيّة تعلّق النّاس بها ،رغم إنّها فانية زائلة لم يبق إلاّ متاعبها.

إنّ الفعل المبنيّ للمجهول في الآية هو " زُيِّن "، ونائب الفاعل هو " حبُّ "، وإعراب هذه الآية الكريمة : " زيّن" فعل ماض مبنيّ للمجهول و "للنّاس" جارّ ومجرور متعلقان ب «زُيّن»، و"حبّ الشّهوات" نائب فاعل "[2].

وذكر النّحاس أنّ " حُبّ الشّهوات " الواردة في الآية الكريمة اسم ما لم يُسمَّ فاعله[3].

والآية استئناف نشأ عن قوله تعالى لَنْ تغني عنهم أموالهم ولا أولا دهم" ، إذ قُصد منه عِظة المسلمين ألاّ يغترّوا بحال الّذين كفروا فتعجبهم زينة الدّنيا ، وتلهيهم عن التّهمّم بما به الفوز في الآخرة ، فإنّ التّحذير من الغايات يستدعي التّحذير من البدايات ، وقد صُدِّر هذا الوعظ ببيان مدخل هذه الحالة إلى النّفوس ؛ ليكونوا على أشدّ الحذر منها .

والتّزيين تصيير الشّيء زيناً أي حسناً ، فهو تحسين الشّيء المحتاج إلى التّحسين ، وإزالة ما يعتريه من القبح أو التّشويه .

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 14.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 469.

[3]. النحاس. إعراب القرآن، ج: 1، ص: 147.

والسّؤال الّذي يتبادر إلى الذّهن : من هو الفاعل الحقيقي الّذي زيَّن للنّاس حبّ الشّهوات؟ يذكر أبو البقاء العكبريّ أنّ ا لّشيطان هو الّذي زيّن للنّاس حبّ الّـشهوات من النّساء والبنين، معتمداً في هذا التّعليل على آية أخرى في أنّ الشّيطان هو الّـذي يزيّن للنّاس حبّ الّشهوات، غير أنّه لم يذكر تلك الآية الّتي حمل المعنى عليها[1].

إنّ الله تعالى قادرٌ على أن يقول لنا من الّذي زيّن لله الأشياء تحديداً، لكنّـه يريد أن يعلّمنا أنّه من الممكن أن يكون الشّيطان هو الّذي يزيّن ، ومن الممكـن أن يكون منطق المنهج هو الّذي يُزيّن، فهناك مفاتيح تجذب الإ نسان ؛لينحرف عن مراد الله في منهجه، ولا شكّ أنّ الهوى هو الّذي يميل القلوب ويزيغها،ولكلّ هوى مفتاح.

والّذين يدخلون على النّاس ليزيّنوا لهم غير منهج الله ،يأتون لهـم بالمفتـاح الّذي يفتح شخصيّاتهم، ويستميل قلوبهم ، ويغوي عقولهم.

ومن ناحية أخرى فقد يكون الفاعل مخفيّاً ؛لأنه ليس هو محـور الحـديث ، وإنّما الهدف هو عمليّة التّزيين نفسها ،والطّبيعة الفطريّة الّتي جُبل عليها الإنسان من حبٍّ للشّهوات بسبب تزيينها له.

وقد يكون الفاعل مخفيّاً أيضاً ؛لأنّ محرّك الشّهوات والغرائز عند الإنسان هو فاعل معلوم ضمنيًّا لدى العموم؛ لذا تأتي في معظم الأحيان أفعاله مبنيّة للمجهول.

وقديكون حذ فـفاعل التّزيين هنا لخفائه عن إ دراك عموم المخاطبين ، لأنّ مـا يدلّ على الغرائز والسّجايا ، لمّا جُهِل فاعله في متعارف العموم ، كان الشّأن إسناد أفعاله للمجهول كقولهم عُني بكذا ، واضطرّ إلى كذا ، لا سيّما إذا كان المراد الكناية عن لازم التّزيين . فحبّ الشّهوات أمر جبلّيجعله الله في نظام الخِلقة ، ولمّا رجع التّزيين إلى الجبلّة ، كان فاعله على الحقيقة هو خالق هذه الجبلّات ، فالمزيّن هو الله بخلقه لا بدعوته.

وأنتقل إلى موضع آخر من السورة ، يقول فيه تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (108) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)(109)[2].

---

[1]. العكبري. التبيان في إعراب القرآن، ج: 1، ص: 244.

[2]. سورة آل عمران، آية: 109.

فالآية الكريمة تحتوي فعلاً مضارعاً مبنيّاً للمجهول، ونائب الفاعل هو " الأمور"، وإعراب الآية هو : " و"تُرجع" فعل مضارع مبنيّ للمجهول ، و"الأمور" نائب فاعل "[1].

وقدّم الجارّ والمجرور على المسند الفعليّ لتحقيق القصر، وهو قصر رجوع النّاس إليه تعالى، وإدراك هذا الأمر من السّياق والمعنى الّذي تقرّره الآية الكريمة.

وهذه الآية استئنافٌ لقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، و قد احتوت هذه الجملة " ما "، للدّلالة على عموميّة الموجودات في السّماوات والأرض، وكلّ هذه الموجودات إنّما هي في ملك الله تعالى، ومن هنا فإنّ هذه المخلوقات الكثيرة العميمة ترجع الأمر لله تعالى، وبالتّالي فإنّ الفاعل حُذف لعدم العلم به من قبلنا نحن وليس من قبل الله تعالى ــ وعدم العلم هذا يأتي من كثرة خلق الله، فكلّ من مخلوقاته جلّ وعلا يردّ إليه الأمر، ومن هنا فإنّ هذا الشّمول هوسبب الجهل بهذا الفاعل، فكان من الأبلغ أن يُحذف الفاعل.

وقد يكون الغرض البلاغيّ من هذا النّظم القرآنيّ –حذف الفاعل - ؛لبيان أنّ الملك كلّه لله تعالى الواحد القهّار ، وأنّ الأمور كلّها مآلها إلى الله سواءً بكراهية أم بطواعية ، فمن كان عمله طيّباً في الدّنيا ، طائعاً لربّه ، فسيسارع في الرّجوع إلى الله بحبٍّ وإرادة ، والدّليل على ذلك قوله تعالى :" يا أيّتها النّفس المطمئنّة ، ارجعي إلى ربّك راضيةً مرضيّة" [2]، أمّا من كان عمله خبيثاً عاصياً ، فسيحاول الهروب من الوقوف بين يديّ الله ، والرّجوع إليه ، ويتمنّى أن يطول به الزّمن ليعمل صالحاً ، ولكن هيهات ذلك ، فسيرجعهم الله إليه مقهورين رغماً عنهم، فهم من قال فيهم الله تعالى: "حتّى إذا جا أحدهم الموت قال ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت، كلاّ، إنّها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون"[3]

---

[1]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 2، ص: 18.

2 .سورة الفجر,الآيات:27 ,28.

[3]. سورة المؤمنون،الآيات:99 ،100.

نائب الفاعل ضميراً متّصلاً:

يقول الله سبحانه وتعالى : (أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ)(88)[1].

إعراب الشّاهد في الآية الكريمة هو: " ولا هم يُنظَرون، "الواو" عاطفة، و"لا" نافية، و"هم"ضمير منفصل في محلّ رفع مبتدأ ، و"ينظرون" أي يمهلون فعل مضارع، و"الواو" نائب فاعل، والجملة في محلّ رفع خبر «هم»، والجملة عطف على جملة" لا يخفف".

يقول الطّبري في تفسير هذه الآية : " لا يخفَّف عنهم العذاب"، لا ينقصون من العذاب شيئًا في حال من الأحوال، ولا ينفَّسون فيه "ولا هم ينظرون"، يعني: ولا هم ينظرون لمعذرة يعتذرون "[2].

ويمكن أن نتعرّف السّبب الكامن وراء حذف الفاعل في هذه الآية الكريمة، فالنّظر إنّما يكون من الله تعالى يوم القيامة للعباد، وهؤلاء الكفّار لا ينظر الله إليهم في ذلك اليوم ؛ كي لا يعتذروا، وإنّما هم في العذاب دون تخفيف أو نظر، ومن هنا يمكننا القول بأنّ الفاعل حُذف للعلم به.

وقد يكون الفاعل زبانية جهنّم، وذلك لأنّ الجملة معطوفة على " فلا يخفّف ..."، ومن يقوم بتعذيب الكفّار هم زبانية جهنّم، ومن هنا فإنّ الفاعل حُذف أيضاً للعلم به، لأنّ الّذين يعذّبون الكفّار هم الزّبانية، والجملة الثانية معطوفة على هذه الجملة، فكان بالتّالي المعنى مترابطاً، واتّضح الأمر على أنّ الفاعل المحذوف هم زبانية جهنّم.

وقد يكون حذف الفاعل تأدّباً مع الذّات الإلهيّة، وقطعاً لشكّ هؤلاء المجادلين الّذين يفترون على الله تعالى، ويتّهمونه بالظّلم،وعدم التّخفيف على عباده ، والرّحمة بهم ، و أنّه يعذّب بدافع الطّبع لا بدافع العدل وأخذ الحقوق ، إذ يأخذون الآيات على مطلق العموميّة دون تأويل أو تفسير لتخدم أغراضهم الشّيطانيّة .

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 88.

[2]. الطبري. جامع البيان، ج: 6، ص: 577، والثعلبي. النكت والعيون، ج: 1، ص: 409.

وبناء على ما تقدّم فإنّ المعنى المنوط بحذف الفاعل ، وإقامة نائب الفاعل - المفعول في الأصل مقامه، وما يتّصل بذلك من دلالات يمثّل الجانب البلاغيّ في هذه الآية الكريمة، فحذف الفاعل على هذا النّحو أكثر إيقاعاً في النّفس بعظِم جُرم هؤلاء الكفرة.

وفي موضع آخر يقول الله تعالى: (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (154)[1].

فالآية الكريمة تتضمّن فعلاً مبنّياً للمجهول، ونائب الفاعل ضمير متّصل بالفعل، و إعراب الشّاهد في هذه الآية : " و"ما" نافية ،و"قتلنا" فعل ماضٍ مبنيّ للمجهول و نائب فاعل وجملة " ما قتلنا"لا محلّ لها ؛ لأنّها جواب شرط غير جازم، وهاهنا" الهاء" للتّنبيه، و"هنا" اسم إشارة في محلّ نصب ظرف مكان متعلّق ب "قتلنا""[2].

فنائب الفاعل في الآية ضميرٌ متّصل، وهي تتحدّث على لسان المنافقين، فهم الّذين يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا[3]، وعلى ذلك كان تفسير الزّجاج لهذه الآية، فالمنافقون هم الّذين قالوا ذلك، وهم الطّائفة الأخرى الّتي ذكرها الله تعالى في الآية الكريمة[4].

ومدار الحديث في الآية هو الفعل المبنيّ للمجهول، والسّبب العائد إلى بناء هذا الفعل للمجهول هو الجهل بالفاعل .

إنّ حالة النّاس في الحرب عشوائيّةٌ قلقة ،لا يعرف القاتل من قَتل، ولا المقتول من قتله، إلاّ قليلاً، ففي حومة الوغى واختلاط الناس لا يعرف أحد الآخر،

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 154.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 2، ص: 78.

[3]. الطبري. جامع البيان، ج: 6، ص: 165.

[4].الزجاج. معاني القرآن وإعرابه، ج: 1، ص: 479 ـ 480.

ومن هنا فإنّ التّعبير القرآنيّ جاء على هذا المعنى، فحسُن أن يكون الفاعل مجهولاً، وأن يكون الفعل مبنيّاً للمجهول .

وقد يكون الملمح البلاغيّ من حذف الفاعل أيضاً عدم أهميّة ذكره ومعرفته، مغزفى الحديث هو عمليّة القتل نفسها لهؤلاء الكاذبين الّذين تمتلئ قلوبهم بمرض النِّفاق، وليس من الّذي سيقوم بهذه العمليّة ، فالعلم بالفاعل أو عدمه سواء، إنّما الأهمّ هو أن ينال هؤلاء المتلوِّنون جزاءهم بما كسبت أيديهم ،ودبّرت عقولهم.

وفي موضعٍ آخر يقول تعالى :"قل للّذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنّم وبئس المهاد"[1]، الآية استئناف ابتدائي للانتقال من النّذارة إلى التّهديد،ومن ضرب المثل لهم بأحوال سلفهم في الكفر إلى ضرب المثل بسابق أحوالهم المؤذنة بأنّ أمرهم صائرٌ إلى زوال وجيء في هذا التّهديد بأطنب عبارة وأبلغها ؛لأنّ المقام مقام إطناب لمزيد الموعظة والتذكير.

والظّاهر أنّ المراد بهم المشركون خاصّة، وقيل المراد بهم خصوص يهود يثرب الّذين نقضوا العهد مع المسلمين بعد لقاء أحد[2].

وقد أتى الفعل مبنيًّا للمجهول ، ولم يُعلم الفاعل الّذي سيقوم بالفعل وذلك لأسبابٍ عدّة:

أوّلاًلأنّ جنود اللّه في الأرض وافرة ، ولا يعلمها إلاّ هو ، فقد يضع سرّه في أضعف خلقه، حيث يدبّر الأمور كما يريد لها أن تكون.

ثانياًحتّى لا يعلم الكافرون من الّذي سيغلبهم ، وما هي مقوّمات نصر المسلمين، وعلى يد من سيكون النصر تحديداًكي لا يعدّوا العدّة لذلك، ويقاوموا هذه الأسباب ، إنّما أراد الله أن تأتيهم بغتةً لا علم لهم بها.

ومن الملامح البلاغيّة في هذا السّياق أيضاً هو الوصول للمفعول به مباشرة، فمن المعلوم أنّ الفعل والفاعل هما ركنا الجملة وعمدتها الأساسيّة ، وما تبقّى فهو فضلةإلاّ أنّ الخطاب هنا موجّه للمفعول به وهو المعنيّ بالإخبار والتّهديد ؛ لذا

---

1. سورة آل عمران ،الآية : 12

2 .ابن عاشور,التّحرير والتّنوير,ج3.ص:175.

حُذف الفاعل وحلّ محلّه المفعول به ؛للفت أسماعه ، والوصــول إليــه مباشــرةً ، وإبلاغه بما ينتظره من المصير المؤلم .

ومن هنا تبرز النّاحية البلاغيّة والدلاليّة لهذه الجملة الفعليّة التي كان فعلها مبنيّاً للمجهول.

وهناك كثيرٌ من الأفعال التي ينتظمها هذا النّمط التركيبي، غير أنّنا نكتفي بهذا القدر من الأمثلة[1].

وننتقل للحديث عن الحالة الثّالثة والأخيرة في هذا المبحث من الفصل، ألا وهي حالة نائب الفاعل ضميراً مستتراً.

نائب الفاعل ضميراً مستتراً:

وهي الحالة الثّالثة والأخيرة التي يأتي عليها نائب الفاعل في سورة آل عمران.

وقد ذكرنا في بداية الحديث عن نائب الفاعل أن الفاعل إذا حذف يتوجّب علينا أن نُقيم مقامه، وممّا ينوب عن الفاعل عند حذفه المفعول به، وعندما يكون نائباً للفاعلفإنّه يأخذ أحكام الفاعل، ومن أهمّ هذه الأحكام عدم الحذف، ووجوب الذّكر[2]، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (84)[3].

إنّالجملة المذكورة في هذه الآية تحوي فعلاً مبنيّاً للمجهول، ونائب الفاعل ضميرمستتر تقديره هو، والإعراب : " و"قل" فعل أمر، وفاعله "أنت" ،و"آمنّا" فعل ماض وفاعل ،وجملة" آمنا "مقول القول ،و"بالله" جارّومجرور متعلّقان ب "آمنّا"، ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ "الواو" عاطفة ،و"ما" اسم موصول معطوف على الله، وجملة" أنزل علينا" صلة الموصول ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

---

1 .انظر الآيات:83, 111, 132.

2. ابن عقيل. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 111.

3. سورة آل عمران، آية: 84.

وَالْأَسْبَاطِ﴾ الواو" حرف عطف ،"وماسّم معطوف على ما الأولى ، و"أنزل" فعل ماضٍ مبنيّ للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره" هو" "[1].

يقول الطّبري في تفسير الآية الكريمة : " فإن ابتغوا غيرَ دين الله، يا محمّد، فقل لهم:"آمنّا بالله"، فترك ذكر قوله:"فإن قالوا: نعم"، أو ذكر قوله: "فإن ابتغوا غير دين الله"، لدلالة ما ظهر من الكلام عليه.

وقوله:"قل آمنّا بالله"، يعني به: قل لهم، يا محمّد،: صدقنا بالله أنّه ربّنا وإلهنا، لا إله غيره، ولا نعبد أحدًا سواه "وما أنزل علينا"، يقول: وقل: وصدّقنا أيضًا بما أنزل علينا من وَحيه وتنزيله، فأقررنا به "وما أنزل على إبراهيم"، يقول: وصدقنا أيضًا بما أنزل على إبراهيم خليل الله، وعلى ابنيه إسماعيل وإسحاق، وابن ابنه يعقوب وبما أنزل على"الأسباط"، وهم ولد يعقوب الاثنا عشر "[2].

فالخطاب في الآية الكريمة موجّه للرّسول - صلّى الله عليه وسلّم - وهو خطاب أيضاً لعامّةالمؤمنين، والدّليل على ذلك أنّه قال : " آمنّا وعلينا "، فهاتان الكلمتان اللّتان جاءتا بضمير الجماعة تدلّان على أنّ الخطاب موجّه للمسلمين عامّة، وليس فقط للنّبي صلّى الله عليه وسلّم ـــ.

وما يعنينا هنا هو الفعل " أُنزِل " وهو فعل مبنيّ للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره " هو "، ولكن ما الغرض من حذف الفاعل في هذه الآية الكريمة؟

علينا أن ننظر في سياق النّص ، فالمتكلّمون هم المسلمون، وهؤلاء يعتقدون بأنّ الله تعالى هو المرسِل لكلّ الأنبياء، وهو الّذي يُنزل عليهم الآيات والكتب وغيرها من المعجزات، ومن هنا فإنّ العلم المسبق واليقين التّام لدى المسلمين بأنّ الله تعالى هو الّذي أنزل الكتاب على محمّد ، وعلى إبراهيم ، وعلى موسى، وعلى عيسى، وعلى الأنبياء كلّهم - عليهم الصّلاة والسّلام -هو سبب حذف الفاعل من الجملة القرآنيّة، وهذا العلم يتعلّق بعلم المسلمين المتكلّمين في الآية الكريمة، فكان

---

[1]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 555.
[2]. الطّبري. جامع البيان، ج: 6، ص: 569، وابن أبي زمنين. تفسير القرآن العزيز، ج: 1، ص: 300.

حذف الفاعل أكثر بلاغةً، وأشدّ فصاحةً من ذكره، ما دام الفاعل معلوماً لدى المتكلّمين وهو الله سبحانه وتعالى.

ومن النّظم العامّ للآية الكريمة نستطيع أن نلمح الفاعل ، فالنّبيّ و من معه يقولون آمنّا بالله ، وما دام أنّهم آمنوا بالله واعتقدوا بوجوده ، فهم يقيناً سيؤمنون بأنّه هو الّذي أنزل الكتاب على محمّد – عليه السّلام – وعلى غيره من الأنبياء دون الحاجة لتكراره في كلّ مرّة .

وفي موضع آخر من سورة آل عمران، يقول سبحانه وتعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(85)[1].

و إعراب الشّاهد في الآية الكريمة: " ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه، و"الواو" استئنافية ،و"من" اسم شرط جازم في محلّ رفع مبتدأ ، و"يبتغ" فعل الشّرط وعلامة جزمه حذف حرف العلّة وفاعله ضمير مستتر تقديره هو ،و"غير": لنا فيها وجهان، إمّا أن تكون مفعولاً به ل "يبتغ" و"دينا" تمييز، وإمّا أن تكون حالاً؛ لأنّها كانت في الأصل صفة ل : ديناً، ثمّ تقدّمت عليه، وديناً على هذا الوجه مفعول به، (فلن) "الفاء" رابطة لجواب الشّرط ،و"لن" حرف نفي ونصب واستقبال ،و"يقبل" فعل مضارع مبنيّ للمجهول منصوب ب "لن" ،و"منه" جارّ ومجرور متعلّقان ب "يقبل" ،وجملة "لن يقبل منه "في محلّ جزم جواب الشّرط وفعل الشّرط وجوابه خبر مَن "[2].

فالفعل " يُقبل " فعل مبنيّ للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ولا نريد أن نطيل الكلام على هذه الآية الكريمة، فما يُقال فيها قد قيل في سابقتها، فالفعل قد بُني للمجهول بسبب أنّ الفاعل معلوم لدى المتلقّي، فمن الّذي يقبل الّدين من العباد؟ إنّه الله تعالى، ومن هنا فإنّ الأسلوب القرآنيّ جعل الفاعل محذوفاً، وأقام المفعول به المستتر مقامه، للعلم بهذا الفاعل، وكون نائب الفاعل مستتراً يجعل من الآية أكثر تماسكاً، وذلك من خلال عودة هذا الضّمير إلى معنى معروف لدى المتلقي، وهو الله سبحانه وتعالى.

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 85.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 556 ــ 557.

و نلاحظ في نهاية هذا الجزء من الدّراسة أنّ سورة آل عمران احتوت عدداً لا بأس به من الأفعال المبنيّة للمجهول، وكان أغلب الحالات الّتي حُذف فيها الفاعل تعود إلى سبب العلم بهذا الفاعل،ولكنّه حُذف ؛لتماسك النّص والزّيادة في بلاغتـــه، وما ينطبق على سورة آل عمران يمكننا بشيء من التجوّز أن نسبغه على كتاب الله تعالى ككل، بمعنى أن ما ينطبق على نائب الفاعل في سورة آل عمران، ينطبق على نائب الفاعل في سائر سور الكتاب العزيز.

2.3 التّوابع المرفوعة:

يبحث هذا الفصل في الحالتين التركيبيّة والبلاغيّة اللّتين تدخلان فـــي إطـــار التّوابع المرفوعة في سورة آل عمران وهي : البدل، والتّوكيد، والنّعت، والعطـــف، وسنورد تحت كلّ عنوان من هذه العناوين الآيات القرآنيّة الّتي تحوي شاهداً علـــى هذه التّوابع المختلفة.

يقول الزّمخشريّ في تعريف التّوابع " فهي الأسماء الّتي لا يمسّها الإعـــراب إلاّ على سبيل التّبع لغيرها "[1]، فالتّوابع سُمِّيت بهذا الاسم ؛لأنّها تتبـــع غيرهـــا فـــي إعرابها.

وهناك تعريفات أخرى للتّوابع وردت عند النّحويّين والبلاغيّين، نذكر منهـــا تعريف الجرجانيّ، إذ يقول : "هو كلّ ثانٍ لإعراب سابقه من جهة واحدة، وخـــرج بهذا القيد : خبر المبتدأ، والمفعول به الثّاني، والمفعول به الثّالث... "[2].

وفيما هو آتٍ عرضٌ لهذه التّوابع في سورة آل عمران.

3.3 البدل:

هو تابع من التّوابع، يقول فيه الجرجانيّ :" البدل تابع مقصود بما نُسب إلى المتبوع دونه"[3].

---

1. الزّمخشري,المفصّل في صنعة الإعراب, ص: 129.
2. الجرجانيّ. كتاب التّعريفات، ص: 51.
3. الجرجانيّ. كتاب التّعريفات، ص: 44.

ويقول عبّاس حسن :"إنّه التّابع المقصود وحده بالحكم المنسوب إلى تابعــه ، من غير أن تتوسّط – في الأغلب – واسطة لفظيّة بين التّابع والمتبوع "[1].

ومن هذا التّعريف يتّضح الفرق بين البدل والتّوابع الأخرى : فالنّعت والتّوكيد وعطف البيان ، ليست مقصودة بالحكم ، وإنّما هي مكمّلة له . وعطف النّسق لا بدّ فيه من الواسطة ، وهي أداة العطف . هذا إلى أنّ ما بعد هذه الأداة قد يكون مخالفاً في الحكم لما قبلها فلا يكون مقصوداً به ، وقد يشاركه في الحكم ولكنّه لا ينفرد به . فلا يكون هو المقصود وحده[2].

ويأخذ البدل أحكام المُبدل منه، ويتبــعه في الإعراب، " وهو الّــذي يُعتمــد بالحديث؛ وإنّما ذُكر الأوّل لنحو من التّوطئة، وليفادَ بمجموعهما فضل تأكيد، وتبيينٌ لا يكون في الإفراد "[3].

وفيما هو آتٍ مادّة تطبيقيّة من سورة آل عمران:

يقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْــمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾(45)[4].

فالآية الكريمة تحوي بدلاً هو " عيسى "، وهو مرفوع من لفظ " المــسيحُ "، يقول درويش في إعراب هذه الآية الكريمة: " اســمه" مبتــدأ ، و"المــسيح" خبــر، و"عيسى" بدل من المسيح "[5].

المسيح أصل هذا الوصف أنّه كان في شريعتهم : من مسحهُ الإمــام بــدهن القدس كان طاهراً متأهّلاً للملك والعلم وا لمزايا الفاضلة، فــدلَّ ســبحانه علــى أنَّ عيسى - عليه السّلام- لازمٌ للبركة النّاشئة عن المسح وإن لم يُمسح ، و أمّا وصف

---

[1] . عباس حسن.النحو الوافي,ج3.ص:664

[2] . المرجع السابق,ج3.ص:364

[3]. الزّمخشريّ. المفصّل في صنعة الإعراب، ص: 142>

[4]. سورة آل عمران، آية: 45.

[5]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 510.

الدّجّال بذلك فهو من باب هلاكه على يد عيسى –عليه السّلام - فوصفه بوصفه من باب التّسمية بالضدّ[1].

إنّ العَلم على الشّخص له حالاتٌ ثلاثٌ: إمّا اسم ، وهو ما يطلق على المسمّى أوّلاً، وإمّا اللّقب ، وإمّا الكنية، وقد جاءت الثّلاثة في عيسى –عليه السّلام- ؛ وذلك لحكمة، فالمسيح ما بيّنّا معناه سابقاً، أمّا ذِكْرُ اسمه "عيسى" (البدل) فهو للتّشريف ورفع الشّأن، فلو قلت مثلاً : جاء هذا لكان بخلاف قولك : جاء زيد ، أو لو قلت :قم يا هذا ، لكان كذلك غير : قُم يا زيد ، فذكر الاسم صريحاً له وقعٌ أكبر في النّفس، ورفعٌ للقدر عند السّامع.

أمّا مجيئه بالكنية "ابن مريم"، فهو بيانٌ أنّه منها وحدها دون ذكر، ومع ذلك فهو طاهرٌ ابن طاهرة ،عفيفٌ ابن عفيفة ، نبيٌّ لله تعالى ، تُقام على يديه الأدلّة والمعجزات، بريءٌ وأمّه من كلِّ اتِّهام وباطل.

فالبدل في الآية الكريمة له فوائد ودلالات عدّة منها : التّوكيد، فالأسلوب القرآنيّ حين ذكر المسيح، ثم ذكر " عيسى " أكد أنّ المسيح هو عيسى عليه السّلام.

وكذلك نلحظ أنّ فائدة البدل في هذا الموضع هي الإيضاح والتفسير، حيث بيّن لنا من هو المسيح، فعندما جاء البدل بعد كلمة " المسيح " وهو " عيسى "، تبيّن أنّ المسيح إنّما هو عيسى بن مريم عليهما السّلام.

فمجيء البدل "عيسى"حقّق في الآية معنىً عظيماً تمثّل بكمال العناية الإلهيّة ، والاهتمام الرّبّاني ، والاصطفاء والتّكريم، وانّ ماسيظهر على يد هذا المسيح عيسى من خوارق العادات التي تُتّخذ دليلاً على ألوهيّته أو نبوّته ، لم يكن إلّا أثراً من آثار التّكريم الّذي جرت به سنّة الله فيمن يصطفي من الأنبياء والمرسلين ، فهو وجيهٌ في الدّنيا بنبوّته، ووجيهٌ في الآخرة بشفاعته وعلوّ درجته في الجنّة ، ومن المقرّبين من الله تعالى .

وهو من قال الله في أمّه " إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين " ،فنداء أمّ عيسى باسمها يحمل في طيّاته دلالة كبيرة

---

[1] . البقاعي,ابراهيم عمربن حسن .نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور,دار الكتاب الاسلامي.القاهرة,مصر,ج4,ص:397.

تتجلّى باستنهاضها وتنبيهها إلى عِظَم ما ستُكلَّف به ، فهو نداء من ملائكة الله الأطهار إلى عذراء طاهرة ، مؤمنة بربّها وبمعجزتها.

أمّاذكر اسم ولدها قبل ولادته -وهو البدل- ،فهو أيضاً من باب الشّرف والرّفعة ، وخير دليل على ذلك قوله تعالى " يبشّرك " ، والبشارة هي زفّ الخبر السّار. أمّا قوله:" ابن مريم" فهو كذلك من روائع التّميّز والتّفضيل، فالعادة جرت أن يُنسب المولود لأبيه إلاّ أنّ "عيسى" -عليه السّلام- قد نُسب إلى أمّه ،ولم يكن ذلك لواحدة من النّساء ، أو لأحد من الأنبياء.

و من وجهة أخرى ، فقد يكون للبدل هنا "عيسى" فائدة تشريعيّة –وإن لم يصرّح عنها مباشرة - وهي بيان حكم شرعيّ يتمثّل بجواز تسمية المولود قبل ولادته، ولا ضير في ذلك ، فالقرآن الكريم له أنوارٌ بهيّة ، وإطلالات قويّة على كلّ جانب من جوانب الحياة سواء على نطاق الأسرة أم غيرها.

وفي موضع آخر من سورة آل عمران يقول سبحانه : (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)(68)[1].

فقد جاء البدل وهو " النّبي " مرفوعاً، وهو مبدل من " هذا " يقول درويش في إعراب هذا الموضع من الآية الكريمة : " وهذا النبي، "الواو"حرف عطف على " الّذين" ، و"النبي" بدل من اسم الإشارة "[2].

واسم الإشارة في قوله :"وهذا النّبيُّ" مستعملٌ مجازاً، والنّبي ليس بمشاهد للمخاطبين بالآية حنئذٍ، ولا قُصِرت الإشارة إلى ذاته، ويجوز أن تكون الإشارة مستعملة في حضور التّكلّم باعتبار كون النّبي هو النّاطق بهذا الكلام . والاسم الواقع بعد اسم الإشارة بدلاً منه ، هو الّذي يُعيّن جهة الإشارة ما هي[3].

[1]. سورة آل عمران، آية: 68.

[2]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 531.

[3] .ابن عاشور,التّحرير والتّنوير,ج3.ص:277.

فبعد أن أبطل الله تعالى مزاعم الّذين يدينون بغير ما كان يدين به إبراهيم – عليه السّلام- من توحيد الله تعالى توحيداً خالصاً مطلقاً، بيّن سبحانه من هم أولى النّاس بإبراهيم ،وبالانتساب إليه، وبوصل دينه.

إنّ أولى النّاس بتلك النّسبة لهو النّبي –عليه السّلام - والّذين آمنوا، إذ كان دين محمّد هو الإسلام لله ، والإقرار بوحدانيّته، وكذلك إيمان المؤمنين بمحمّد[1].

وقد جاء البدل في الآية الكريمة؛ ليفيد الإيضاح، ورفع الاحتمال والتّوهم ، وتقرير الحكم السّابق وتقويته بتعيين المراد وإيضاحه ، ورفع الاحتمال عنه . لأنّ هذا الحكم يُنسب أوّلاً للمتبوع ، فيكون ذكر المتبوع تمهيداً للتّابع الّذي سيجيء وتوجيهاً للنّفس لاستقباله ، فكأنّ الحكم قد ذكر مرّتين ، وفي هذا تقويةٌ للحكم وتوكيد. فلو قلنا " وهذا " لما تبيّن لنا إلى من نشير، في حين أنّه لما جاء البدل بعد اسم الإشارة ،بيّن لنا أنّ المقصود بالإشارة هو النّبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم ـ.

والإتيان بالبدل هنا " النّبيّ" قد بيّن قضيّة هامة ألا وهي أنّ الانتماء للأنبياء لا يكون على أساس اللّون ، أو الجنس ، أو الدّم ،أو غيرها من الاعتبارات الدّنيويّة ، فلو كان كذلك،لكان هناك من هو أحقّ بإبراهيم من النّبيّ محمّد ، ولكنّ حكمة الله اقتضت أن يكون الانتماء على أساس اتّباع المنهج الإيماني ، والسّير على خطاه، فالقضيّة إذن تصفية للمنهج الإيماني تمثّل بالرّسالة الخاتمة .

و من خلال ما سبق نلاحظ أنّ البدل بشكل عامّ قليل الورود في سورة آل عمران، وخاصّةً المرفوع منه.

4.3 التّوكيد:

أمّا التّابع الثّاني فهو التّوكيد، ولا نريد الإطالة عن معناه وبعض ما يتّسم به من سمات تركيبيّة ؛ لأنّه ليس ثمّة مادّة تطبيقيّة من السّورة الكريمة، فهو لم يرد في سورة آل عمران إطلاقاً بنوعيه : التّوكيد اللّفظيّ، والتّوكيد المعنويّ ، وبالتّالي فإنّنا سننتقل للحديث عن التّابع الّذي يليه.

---

[1] . الخطيب,عبد الكريم يونس .(المتوفى: بعد 1390هـ).تفسير القرآني للقرأن,الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة,ج2.ص:489.

5.3 النّعت:

" هو الاسم الدّال على بعض أحوال الذّات، وذلك نحو: طويل، وقصيرٍ"[1].

يقول اللهتعالى في سورة آل عمران : (مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)(4)[2].

إنّ الّذين كفروا بآيات اللّه من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذابٌ شديدٌ بـ سبب كفرهم، والله عزيزٌ غالبٌ لا يُمنع من التّعذيب، ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم، وهو وعيد جيء به بعد تقرير التّوحيد والإ شارة إلى ما هو العمدة في إثبات النبوّة تعظيماً للأمر ، و زجراً عن الإعراض عنه[3].

إنّ هذه الآية الكريمة تحوي صفة، وهي " شديد "حيث جاءت صفة لـ " عذاب"وهي مرفوعة، وإعراب هذا الشّاهد من الآية الكريمة: " لهم عذابٌ شديدٌ"، الجارّ والمجرور"متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم و "عذاب" مبتدأ مؤخّر ،و"شديد صفة"[4].

فالموصوف " عذاب " جاء نكرة، والنّكرة حين توصف تُخصّص، فالله سبحانه وتعالى في قوله الكريم خصّص العذاب العام بصفة ألا وهي الشّدّة، فالعذاب الّذي ينتظر الكفّار عنده تعالى عذابٌ شديد، ومن هنا كانت فائدة الصّفة الّتي جاءت في الآية الكريمة بأنّها خصّصت العذاب بالشّدّة، ولم تُبقه على حاله من العموم والشّمول.فكيف لا يكون هذا العذاب شديداً وهو كفرٌ بملّةٍ ،واعتقادٍ ،وديانةٍ سماويّة ، إنّه لجرمٌ يستحقُّ أن يكون عقابه شديداً.

فالعذاب وهو نكرةاكتسب من النّعت - مع بقائه على حاله – شيئاً من التّخصيص، فجعله من ناحية التّعيين في درجة بين المعرفة والنّكرة ، فلا يرقى في

---

[1]. الجرجانيّ. كتاب التّعريفات، ص: 138، و الزّمخشريّ. المفصّل في صنعة الإعراب، ص: 133.

[2]. سورة آل عمران، آية: 4.

[3]. البيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل،ج:2 ، ص:5 .

[4]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 455.

تعيين مدلوله إلى درجة المعرفة الخالصة الخالية من الإبهام والشّيوع ، ولا ينزل في الإبهام والشُّيوع إلى درجة النّكرة الخالية من كلّ تعيين و تحديد.

فمدلول النَّكرة يشمل أنواعاً كثيرةً يصعب حصرها ، فإذا وصفت أمكن تضييق ما تشتمل عليه تضييقاً نسبيّاً ، أي بالنّسبة لحالتها قبل النّعت،فدرجات العذاب مثلاً متفاوتة ومختلفة كلٌّ حسب عمله ، فلو قال الحقّ : " لهم عذاب " لتوهّم هؤلاء بأنَّ عذابهم بسيط أو متوسّط ، فكان من الأجدر والأبلغ أن يوصف هذا العذاب بأنّه شديد؛ ليكون رادعاً لهؤلاء .

وبعد أن ختم الله سبحانه وتعالى أوصاف القرآن الكريم بأنّه فرقان ، يفرّق بين الحقّ والباطل ، يزيل الشبهات والشّكوك ، استأنف ذلك القول بما أعدّ للّذين كفروا به ، فأخبر بأنّه أعدّ لهم من العذاب ما أعدّ . فقال:﴿ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ .

وهذه الآية الكريمة تحوي كثيراً من الملامح البلاغيّة نستشفّ منها ما يأتي:

أوّلاً : تصدير الآية القرآنية ب "إنّ" ؛لتأكيد العذاب الشّديد الّذي سيحِلُّ بهؤلاء الكفرة.

ثانياً: وصف القرآن الكريم بالآيات ، وهو الكتاب السّماوي الوحيد الّذي وُصِف بذلك؛ لأنّه هو معجزة بذاته.

ثالثاً:الإضافة في قوله :"بآيات الله" ، حيث أضيفت الآيات للفظ الجلالة ، وذلك لتعيين حيثيّة كفرهم ، وتهويل أمرهم ، وتأكيد استحقاقهم للعذاب الشّديد ، وللإيذان بأنّ ذلك الاستحقاق لهذا العذاب الشّديد لا يشترط فيه الكفر بالكلّ ، بل يكفي منه الكفر ببعضها ، والإضافة في الآيات للتّعظيم ، أي تعظيم الآيات .

رابعاً: التنكير في كلمة " عذاب " وقد أريد به التّفخيم والتّعظيم.

خامساً: التّقديم والتّأخير في المبتدأ والخبر، وقد كان ذلك لحكمة في هذا الموضع وهي التّشويق إلى المؤخّر فما حقّه التّقديم إذا أُخّر تبقى النّفس البشريّة مترقّبة له، مشغوفة بمعرفته لاسيّما عند الإشعار بكونه من التّهديد.

سادستّذْييل الآية الكريمة بقوله تعالى والله عزيزٌ ذو انتقام " ؛ وذلك لتقوية معنى النّعت والمنعوت"عذابٌ شديد" ،فهو عزيز منتقم ، وقد عبّر عن ذلك بكلمة "ذو"

دون "منتقم" للإشارة إلى أنّه انتقام عن اختيار لإقامة مصالح العبـــاد ، ولـــيس للانتقام بدافع الطّبع.

وفي موضعٍ آخرمن السّورة يقول سبحانه وتعـــالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (104)[1].

"من" للتّبعيض ؛ لأنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من فروض الكفاية، ولأنّه يصلح له كلّ أحد ، و له شروط لا يشترط فيها جميع الأمّة كالعلم بالأحكام ومراتب الإحتساب وكيفيّة إقامتها والتّمكن من القيام بها . خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ؛ ليدلّ على أنّه واجب على الكلِّ حتّى لو تركوه أثِموا جميعاً، أو "للتّبيـــين" بمعنى كونوا أمّةً يدعون كقوله :"كنتم خير أمّةٍ أُخرجت للنّاس تـــأمرون بـــالمعروف وتنهون عن المنكر"[2].

لقد احتوت الآية الكريمة صفة جملةً، فكلمة " أمّة " قد وُصفت بالجملة الّتـــي تليها، وهي "يدعون إلى ا لخير "، و إعراب الشّاهد في هذه الجملة : " "الواو" حرف عطف ولك أن تجعلها استئنافيّة ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان ما تقدّم ، و "اللّام" لام الأمر وهي تسكّن بعد الواو والفاء ، و "تكن" فعل مضارع ناقص مجزوم بلام الأمر ، و"منكم" جارّ ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم ل "تكن"، و"أمّة" اسمها المُؤَخّر، وجملة "يدعون إلى الخير" في محلّ رفع صفة لأمّة "[3].

ومن دلالات هذه الجملة الّتي جاءت بعد النّكرة هي التّخصيص كما في المثال السّابق، فالله عزّ وجلّ خصّص الفرقة الّتي يتوجّب أن تكون من بين المسلمين بأنّهم يدعون إلى الخير، فـ هذه الصّفة خصّصتهم عن سائر الفرق الّتي تكون بين المسلمين، ومن هنا تظهر النّاحية البلاغيّة والدّلاليّة في الآية الكريمة.

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 104.

[2] الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه،ج:1، ص:452 .

[3]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 2، ص: 13 .

وقد تكون الفائدة من النّعت هنا تتمّة الفائدة بالاشتراك مـــع الخبـــر، مـــع أنّ الأصل في الخبر أن يتمّ الفائدة وحده، لكنّه في بعض الأحيان لا يـ تمّمها إلاّ بمساعدة لفظ آخر كالنّعت ، وذلك كقوله تعالى:"فويلٌ للمصلّين، الّـذين هـم عـن صـلاتهم ساهون".

أمّا مجيء النّعت جملةً مصدّرةً بالمضارع ، فهو لما يحمل هذا الفعـل مـن خصائص متمثّلة بالاستمرارية ، والحال والماضي أيضاً إن سُبق بـ "لم" ، فهذه الأمّة معنيّة بالخير والفضل والدّعوة إلى يوم القيامة ، يؤكّد ذلك قوله تعـالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ (110)) [1].

فلو امتنع الرّادع النّفسيّ عند شخص من هذه الأمّة بحكـم ضـعف الـنّفس البشريّة وطبيعتها الخطّاءة ، لوجد هناك من أمّته من ينبّهونه إلى الطّريق الـسّليم ، والمنهج الصّحيح ، فالإنسان بطبيعته مجبول على النّسيان والضّعف، إلّا أنّ الـدّعوة المستمرّة إلى الخير قد شكّلت علاجاً نافعاً لهذا الخلل ؛ لذا وصف الله تعـالى هـذه الأمّة الدّاعية إلى الخير بالجملة الفعليّة المضارعة ؛ حثّاً على استمرارها في هـذا النهج القويم إلى أن تقوم السّاعة ؛ تماشياً مع طبيعة الـنّفس الخطّـاءة ؛ ورحمـةً لله بعباده، إذ لو قُصِرت الدّعوة على الأنبياء والرّسل لتهالك معظم النّـاس بـذنوبهم ، فالأنبياء والرّسل قد بُعثوا بزمان معيّن ثمّ انقضى أجلهم ، فكيف للنّاس بعد ذلـك أن يذكّروا بأخطائهم ، فكان من الـأولى أن تكون هذه الدّعوة مستمرّة متجدّدة .

أمّا تنكير كلمة " أمّة " ؛ فقد جاء ؛ لبيان أنّ الدّعوة ليست معنيّـة بأشـخاص بعينهم ، وذلك لتحقيق مبدأ التّكافل الإيمانيّ في الأمّـة المحمّديّة ، فساعة يوجد إنسان في لحظة ضعف أمام المتهجّد لحظة قوّة عند غيـره فيوصيه ، فالدّعوة والحثّ على الخير أمران متبادلان بين الجميع ، ومن هنا يظهر الغـرض البلاغـي مـن استعمال الجملة المضارعة في هذا الموضع.

وتجدر الإشارة في نهاية حديثنا عن الصّفة الـ مرفوعة في سورة آل عمـران إلى أنّ ثمّة كثيراً من المواضع الّتي جاءت فيها صفة في سورة آل عمران، غير أنّ

---

1. سورة آل عمران.الآية: 110 .

هذه المواضع لم تكن الصّفة فيها مرفوعة، بل كانت في أغلبها منصوبة أو مجرورة، ومن هنا اكتفينا بما أوردناه من الشّواهد على الصّفة المرفوعة في سورة آل عمران، كما نشير أخيراً إلى أنّ الحالة الأبرز والفائدة الأوضح الّتي جاءت عليها الصّفة في سورة آل عمران هي فائدة التّخصيص للموصوف.

6.3 العطف:

يقول فيه الجرجانيّ :"والعطف تابع يدلّ على معنى مقصود بالنّسبة مع متبوعه، يتوسّط بينه وبين متبوعه أحد الأحرف العشرة "[1].

والعطف اسم وليس صفة [2]، والاسم المعطوف يتوجّب أن يتوسّط بينه وبين الاسم المعطوف عليه حرف من أحرف العطف العشرة التي تذكرها كتب النّحو .

وقد أردنا أن نورد مثالاً على كلّ حرف يرد في سورة آل عمران من أحرف العطف، غير أنّنا لم نجد من الأحرف سوى ثلاثة : هي الواو، والفاء، وثمّ، وجاءت " بل " ولكنّها لم تكن للعطف، والأحرف السّابقة الّتي ذكرناها لم يأتِ منها عاطف على مرفوع سوى الواو، أمّا الثّلاثة الباقية فهي إمّا أن تأتي لعطف غير المرفوع، أو لعطف جملة على أخرى مما لا يدخل في باب الرّفع، ومن هنا فإنّنا نكتفي بطرح مثال على حرف الواو العاطف في سورة آل عمران، حيث يقول الله تعالى : (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)(7)[3].

والشّاهد في هذه الآية الكريمة قوله تعالى : " وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ " حيث عطفها على المرفوع، أمّا إعرابها فهو: " وأُخَرُ مُتشابهاتٍ، عطف على آيات مُحْكَمَاتٌ "[4].

---

[1]. الجرجانيّ. كتاب التّعريفات، ص: 156.

[2]. الزّمخشريّ. المفصّل في صنعة الإعراب، ص: 144.

[3]. سورة آل عمران، آية: 7.

[4]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 458.

والواو تفيد مطلق الجمع بين المتعاطفين، فالحكم الّذي انطبق على المعطوف عليه، ينطبق على المعطوف، ومن هنا فإنّ " أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ " هي من كتاب الله تعالى وهو القرآن الكريم، وهذه هي النّاحية الدّلاليّة في الآية الكريمة.

إنّ الشّيء المحكم هو الّذي لا يتسرّب إليه خلل ولا فساد في العلم ؛ لأنّه محكم ، وهو ما لا تختلف فيه الأفهام ؛ لأنّ النّص فيه واضح وصريح ، والمتشابه هو الّذي يحتاج إلى بحث وسؤال لفهم المراد منه.

وقد قسّم الحقّ تبارك وتعالى القرآن الكريم إلى محكم ومتشابه ، وإنّ النّاس قد انقسمت إلى فريقين تجاهه : فريق يؤمن بالمحكم ، وفريق يتّبع المتشابه ؛ لقذف الشّبهات في قلوب المؤمنين ، وهؤلاء هم أهل الزّيغ والنّفاق.

وقد ظهر الغرض البلاغيّ واضحاً من العطف في قوله :"وأخر متشابهات" ؛ وذلك للكشف والتّحذير من فئة ضالّة مندسّة هدفها تشكيك المؤمنين بكتابهم وعقيدتهم من خلال التوقّف عند المتشابه في القرآن الكريم ،واتّخاذه دليلاً على ما هم فيه من البدعة؛ طلباً منهم لفتنة النّاس في دينهم،والتّلبيس عليهم ؛وابتغاءً لتأويله على الوجه الّذي يريدون؛ ليوافق مذاهبهم الفاسدة.

فالمحكمات والمتشابهات كلّها آيات الله تعالى ومعمولٌ بها ، والمحكمات هنّ أمّ الكتاب : أي الأصل الّذي يعتمد عليه ، ويردّ ما خالفه إليه ، فلا داعي للتوقّف عند جزئيّات المتشابهات ، فهي نزلت للإيمان بها فقط ، وعلى المؤمن إيماناً حقّاً أن يرد المتشابه إلى المحكم، أو يعمل به بما يرضي الله ، أو يؤمن به دون السّؤال عن الكيفيّات والحيثيّات.

فلو قال الله تعالى "منه آيات محكمات " دون عطف المتشابهات أو الإعلام بأنّ هناك آيات متشابهات ؛لما اكتشفنا هذه الفئة التي تشكّك بالقرآن خفاءً .

وأنتقل إلى موضع ثانٍ من المواضع الّتي وردت من عطف المرفوع في سورة آل عمران، حيث يقول تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (9) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ (10)"[1].

---

[1]. سورة آل عمران، آية: 10.

فكلمة " أموالهم " فاعل للفعل " تغني "، ثم جاء العطف بعد ذلك لكلمة " أولادهم " يقول درويش في إعراب هذا الموضع : " لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم، و"لن" حرف نفي ونصب واستقبال و "تغني" فعل مضارع منصوب ب "لن"، والجملة خبر إن و "عنهم" متعلّقان ب"تغني"، و"أموالهم" فاعل تغني، " وَلَا أَوْلَادُهُمْ "عطف على أموالهم "[1].

فالآية عرضٌ لما يقع في يوم البعث، وما يلقى فيه الّذين كفروا باللّه واليوم الآخر من نكال وبلاء ، حيث يدعون إلى نار جهنّم صاغرين ، فلا يغني عنهم شيءٌ، إذ أُفردوا من أحبِّ الأملاك لديهم .

وقد خصّ الأموال والأولاد من بين أعلاق الدُّنيا ؛ لأنّ الغناء يكون بها، وقدّم الأموال على الأولاد ؛ لأنّ المال في باب المدافعة والتَّقرُّب والفتنة أبلغ من الأولاد.

وأعيد حرف النّفي ووسِّط بين الأموال والأولاد ؛ ليفيد النّفي عن كلِّ حالة، فيكون أصرح في بيان المراد ، أو لعراقة الأولاد في كشف الكروب.

فالواو تفيد مطلق الجمع، حيث نفى الله صفة الإغناء عن الّذين كفروا من ناحية أموالهم، ثم عطف بالواو والنّفي على هذا المعنى بمعنى آخر وهو عدم إفادة الأولاد كذلك، فالأموال والأولاد - وهي أعزُّ ما يملك الإنسان وأغلاه -لا تغني الّذين كفروا من عذاب يوم القيامة، فهو واقعٌ عليهم لا محالة .فالغرض البلاغيّ من العطف هنا يتمثّل بتأكيد قضيّة الزّهد في الحياة ، وعدم الرّكض وراء ملذّاتها وفتنها التي تعدّ الأموال والأولاد في مقدّمتها، فالإنسان ليس له إلاّ ماسعى ،فأنفس الأشياء وأحبّها إلى نفسه لاتشفع له عند الله تعالى ومن هنا تبرز الفائدة الدّلاليّة والبلاغيّة لهذا العطف في الآية الكريمة.

ونشير في نهاية المطاف إلى أنّ الواو أكثر الحروف العاطفة وروداً في سورة آل عمران، غير أنّها لم تكن في كلّ أحوالها عاطفة بالرّفع، بل كانت تارةً عاطفة بالنّصب، وأخرى بالجرّ، ولقد أوردنا مثالين على هذه الواو العاطفة بالرّفع، راجين من الله العون والقبول.

---

[1]. درويش. إعراب القرآن وبيانه، ج: 1، ص: 461.

الخاتمة:

لقد لاحظنا أنّ الجملة الاسميّة المتكوّنة من المبتدأ والخبر تكثر في مجيئها في خواتيم الآيات، وكأنّها تُذكر لتأكيد معنى الآية ، حيث إنّ معناها يتّصل بالدّيمومة والاستمرار، ومن هنا جاءت في رؤوس الآيات.

لقد جاء المبتدأ متقدّماً وجوباً على الخبر في كثير من المواضع، والعكس كذلك، غير أنّ الخبر لم يرد محذوفاً في الآيات الكريمة، وربّما كان السّبب وراء ذلك أنّ الخبر يأتي للمعنى، ومن هنا فإنّ الأسلوب القرآنيّ نظراً لتركيزه على المعنى لم يورد أمثلة على حذف الخبر، وهناك مواضع حُذف فيها المبتدأ جوازاً ووجوباً، وهي مثبتة في مواضعها من الدّراسة.

لقد كان مجيء النّواسخ الفعليّة والحرفيّة ظاهراً في السّورة الكريمة، وقد رأينا أن بعض النّواسخ كان أكثر وروداً من غيره ، فمثلاً " كان " أكثر من أيٍّ من أخواتها، والأمر على ذلك مع " إنّ " ،فقد كان ورودها هي الأخرى أكثر من أخواتها، والسّبب في رأينا أن هذه النواسخ أكثر استعمالاً في حياتنا العامة، ولها دلالات كثيرة، وهي كما تُسمّى " أمّ الباب "، ولم تسمَّ بهذا الاسم إلاّ حينما رأى العرب أنّها أكثر وروداً من غيرها في الكلام العربيّ.

وفي أثناءالدّراسة لم نجد أيّاً من الأمثلة على أحد أفعال المقاربة ، أو الشّروع ، أو الرّجاء، إلاّ أنّها وردت في مواضع أخرى من كتاب الله العزيز . أمّا " لا " الّتي لنفي الجنس ، فقد وردت في سورة آل عمران بشكل قليل جدّاً ، إذ لم يتجاوز عدد الشّواهد الّتي جاءت عليها ثلاثة، والأمر ذاته مع الأحرف المشّبهة بـ " ليس "، حيث لم يرد منها إلاّ " ما " الحجازيّة، أمّا ما سواها من الأحرف، فلم ترد عليها شواهد، وحتى " ما " الحجازيّة ذاتها لم يكن ورودها كثيراً في آيات السّورة الكريمة، فهي لم ترد سوى أربع مرات.

أمّا الفاعل فكان أكثر المرفوعات وروداً في سورة آل عمران، وهذا بدوره ينعكس على الأسلوب القرآنيّ كاملاً، حيث جاء الفاعل بشكل كبير جدّاً في الآيات الكريمة، وقد وجدنا أن حالاته التركيبيّة تلخصت في ثلاث حالات : أن يكون اسماً ظاهراً، وأن يكون ضميراً متّصلاً، و أن يكون ضميراً مستتراً، وقد وردت بعض

الأمثلة على تقديم الفاعل وتأخيره، غير أنّها لم تكن شاملة لكلّ الحالات الّتي يتقدّم فيها الفاعل.

أمّا نائب الفاعل فقد وردت كثير من الأمثلة عليه، وقد جاء على ثلاثة أنماط تركيبيّة أيضاً: أن يكون اسماً ظاهراً، و أن يكون ضميراً متّصلاً، و أن يكون ضميراً مستتراً، وقد كان أبرز أسباب حذف الفاعل في الآيات الّتي ذكرناها العلم بالفاعل، ومن هنا حُذِف الفاعل وأُقيم المفعول مقامه.

أمّا التّوابع المرفوعة ، فقد وردت عليها أمثلة من سورة آل عمران ، غير أنّ " التّوكيد " لم ترد عليه أمثلة بالرّفع ولا بغير الرّفع، و ما سواه من التّوابع، فقد وردت عليها أمثلة قليلة جدّاً ، وتلخّص العطف في العطف بالواو، إذ كانت أغلب الآيات الّتي ورد فيها حرف عطف كان عطفاً منصوباً أو مجروراً، أو عطف جملة على جملة، ولم تدخل في باب المرفوعات.

هذه المواضع التّركيبيّة لم تكن تأتي صدفةً في أسلوب القرآن الكريم، وهو الكتاب المعجز المحكم، وإنّما جاءت ؛لتبيّن الملامح البلاغيّة والدّلاليّة لكلّ من هذه التّركيبات النّحوية في مواضعها.

المراجع

القرآن الكريم.

ابن الأثير، نصر الله (1960م). **المثل السائر**، مطبعة نهضة مصر، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى.

الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (1990م). **معاني القرآن**، تحقيق: هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى.

الأزهري، خالد بن عبد الله (2000م)**شرح التصريح على التوضيح**، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن أبي الزمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (2002م). **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: حسين عكاشة، ومحمد مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى.

الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن (د. ت)**شرح الكافية في النحو**، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان.

الأشموني، أبو الحسن علي بن محمد (1998م). **شرح الأشموني لألفية ابن مالك**، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الألوسي، محمود بن عبد الله (1415هـ). **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان.

الأنباري، كمال الدين أبي البركات عبدالرحمن بن أبي الوفاء بن عبيد الله(1957 م). **أسرار العربية**، تحقيق: محمد بهجت البيطار، مطبعة الترقي، دمشق ــ سوريا.

الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (2003م). **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى.

الأنصاري، أبو يحيى زكريا بن محمد (2001م). **إعراب القرآن العظيم**، تحقيق: موسى علي موسى مسعود، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم، إشراف : محمد علي حسنين صبرة، جامعة القاهرة، القاهرة ــ مصر.

البقاعي، ابراهيم عمربن حسن**نظم الدرر في تناسب الآيات والسّور** ، دار الكتاب الاسلامي.القاهرة، مصر.

البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد (1418هـ). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق:محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الثعالبي، ابوزيد عبدالرحمن محمد بن مخلوف(المتوفى 875هـ)، **الجواهر الحسان في تفسيرالقرآن**، تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل عبدالموجود،
طبعة 1، دار التراث، بيروت

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد (2002م). **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق:أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق : نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي (1983م). **كتاب التعريفات**، تحقيق: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (1992م). **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، الطبعة الثالثة.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (د.ت). **اللمع في العربية**، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.

حبنّكة، عبد الرحمن بن حسن (1996م). **البلاغة العربية**، دار القلم، دمشق ــ سوريا، والدار الشامية، بيروت ــ لبنان.

حسن، عباس (د.ت). **النحو الوافي**، دار المعارف، بيـــروت ــ لبنـــان، الطبعـــة الخامسة عشرة.

حموده، طاهر سليمان (1998م). **ظاهرة الحذف فـــي الـــدرس اللغـــوي**، الـــدار الجماعية للطباعة، الإسكندرية ــ مصر.

أبو حيان، محمد بن يوسف (1420هـــ). **تفسير البحر المحـــيط**، تحقيق: صـــدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ــ لبنان.

الخراط، أحمد بن محمد (1426 هـــ).**المجتبى من مشكل إعراب القرآن**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ــ السعودية.

الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (2001م). **درة التنزيل وغـــرة التأويـــل**، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمـــة ــ السعودية، الطبعة الأولى.

الخطيب، عبد الكريم يونس .(المتوفى: بعد 1390هـــ)**تفسير القرآنـــي للقـــرآن** ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

درويش، محيي الدين بن أحمد (1415هـــ). **إعراب القرآن وبيانه**، دار الإرشـــاد للشئون الجامعية، حمص ــ سوريا، دار اليمامة، دمشق ــ بيروت، ودار ابن كثير، دمشق ــ بيروت، الطبعة الرابعة.

الدمشقيأبوحفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (1998م).**اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق:الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والـــشيخ علـــي محمـــد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.لبنان، الطبعة الاولى.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر (د.ت). **مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير**، دار إحياء التراث، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثالثة.

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (1988م). **معاني القرآن وإعرابه**، عـــالم الكتب، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الزركشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (1957م). **البرهان في علوم القـــرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيـــسى البـــابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (1948م). **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ــ مصر . الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (1948م). **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ــ مصر.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (1993م). **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (د.ت). **المفصل في علم العربية**، نشره محمود توفيق، مطبعة حجازي، القاهرة ــ مصر.

ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد (د.ت). **حجة القراءات**، تحقيق وتعليق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

السامرائي، فاضل صالح (2003 م). **معاني النحو**، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان ــ الأردن، الطبعة الثانية.

ابن السراج، أبو بكر محمد (د.ت). **الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان.

السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين، أحمد بن يوسف (د.ت). **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق ــ سوريا.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (1977 م). **كتاب سيبويه**، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ــ مصر

السيوطي، جلال الدين (1981م).**الإكليل في استنباط التنزيل**، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان.

السيوطي، جلال الدين (د.ت). **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ــ مصر.

السيوطي، جلال الدين (1988م). **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

السيوطي، جلال الدين (د.ت). **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة ــ مصر.

الشافعي البغوي، محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت510ه). **تفسير البغويّ** ، تحقيق:عبدالرزاق المهدي،دار احياء التراث العربي ، بيروت الطبعة الاولى(1420ه).

الشعراوي، محمدمتولي(1997)**تفسير الشعراوي -خواطر**، مطابع اخبار اليوم.مصر .

ابن الصائغ، محمد بن الحسن بن سباع (2004م). **اللمحة في شرح الملحة**، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، الناشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ــ السعودية، الطبعة الأولى.

الصابوني، محمد علي (1997م). **صفوة التفاسير**، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى.

صافي، محمود بن عبد الرحيم (1418هــ). **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، دار الرشيد، دمشق ــ سوريا، ودار الإيمان، بيروت ــ لبنان، الطبعة الرابعة.

الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (1997م). **حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

الطبري، أبو جع فر محمد بن جرير (2000م). **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (1984م). **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس.

ابن عطيّة، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** .المحقق:عبد السلام عبد الشافي محمدالناشر : دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى(1422 ه)ـ

ابن عقيل، عبد الله بن بهاء الدين بن عبد الله (1999 م). **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية.

العاكوب، عيسى علي (2005م). **المفصل في علوم البلاغة العربية**، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، منشورات جامعة حلب، حلب ـ سوريا.

العاني، عبد القادر بن ملا (1965م). **بيان المعاني**، مطبعة الترقي، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى.

عباس، فضل حسن (2005م). **البلاغة فنونها وأفنانها**، سلسلة بلاغتنا ولغتنا، دار الفرقان، إربد ـ الأردن، وعمان ـ الأردن، الطبعة العاشرة.

العسقلاني، ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي (د.ت). **العجاب في بيان الأسباب**، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي للطباعة والنشر والتوزيع.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (1995م). **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (د.ت). **التبيان في إعراب القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه.

العلوي، يحيى بن حمزة (1914م). **الطراز**، مطبعة المقتطف، القاهرة ـ مصر.

ابن عيسى، أحمد بن إبراهيم (1406هـ). **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم**، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة.

الغلاييني، مصطفى محمد (1993م). **جامع الدروس العربية**، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الثامنة والعشرون.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد (1910م). **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، المكتبة السلفية، القاهرة ـ مصر.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (د.ت). **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ــ مصر، الطبعة الأولى.

الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب (1996م). **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ــ مصر.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (1978م). **غريب القرآن**، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان.

القزويني، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر (د.ت). **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثالثة.

قطب، السيد(1412هـ).**في ظلال القرآن**، ط17، دار الشروق.بيروت، لبنان.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1999م). **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (د.ت). **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (د . ت). **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، دار عالم الكتب.

المحيميد، ياسين جاسم (د.ت). **الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط**،

المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم (1992م). **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدين قباوة، و محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (1414هـ). **لسان العرب**، دار صادر، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثالثة.

ابن الناظم، محمد بن محمد بن مالك (1342هـ). **شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم**، المطبعة العلوية، النجف ــ العراق.

النجار، محمد عبد العزيز (2001م). **ضياء السالك إلى أوضح المسالك**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (1421هـ). **إعراب القرآن**، وعلق عليه ووضع حواشيه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف (د.ت). **أوضح المسالك بشرح ألفية ابن مالك**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري (د. ت). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مكتبة سيد الشهداء، إيران، الطبعة الخامسة.

ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش. **شرح المفصل**، دار عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، مكتبة المتنبي، القاهرة ـ مصر.

المعلومات الشخصية

الاسم: وصال وليد محمد الهويمل

الكلية: الآداب

التخصص: اللغة العربية

السنة: 2013 م

هاتف رقم: 00962797922517

البريد الالكتروني : **aboalaiham20@yahoo.com**